

أبناءنا جواهر

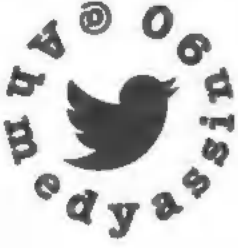
ولكننا حذادون



تصوير
أحمد ياسين



د. مسلم تسابحجي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَاؤْنَا جَوَاهِر
وَلَكُنَّا حَدَادُونَ

نُصَوِّر

أَحْمَدُ يَاسِينَ



@Ahmedyassin90





د. مسلم تسابجي

أبناءؤنا جواهر ولكننا حدادون

تصوير

أحمد ياسين







ثقافة الاختلاف

2012=1433

دار الفكر - دمشق - برامكة

٠٠٩٦٣ ٩٤٧ ٩٧ ٣٠٠ 

٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١ 

<http://www.fikr.com/>

e-mail: fikr@fikr.net

أبناءنا جواهر ولكتنا حديدون

د. مسلم تسابحي

الرقم الاصل لاجي: ٢١٢٦.٠٣٦

الرقم الدولي: ISBN:978-9953-511-38-2

التصنيف الموضوعي: ٣٠٣ (العمليات الاجتماعية)

١٣٦ ص، ١٢ × ٢٠ سم

الطبعة السادسة: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

١٦ / ٢٠٠٨ م

© جميع الحقوق محفوظة لدار الفكر دمشق



إهداء

إلى من ربنتني فأحسننت تربيتي وكان شعارها في التربية

"دعیه ينطلق"

أمي الحبيبة زاهرة

إلى من كنت بؤبؤ عينه وكان سند حياتي

أبي الغالي محمد ياسين

إلى رفيقة دربي وشريكة روعي

وتلميذتي التي علمتني أكثر مما تعلمت مني

زوجتي الرائعة منال

إلى المدرسين الحقيقيين الذين لولاهم ما كان هذا الكتاب

أبنائي ساكني قلبي

أحمد ياسين

أحمد معاذ

زاهرة

فاطمة الزهراء

خالد







المحتوى

| | |
|--|----|
| مقدمة | ١١ |
| الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون | ٢٣ |
| وما أولادنا إلا مرآة لنا | ٢٤ |
| الاستراتيجية المثلى للتربية | ٣١ |
| أولاً: بناء الثقة | ٣٣ |
| كيف نبني الثقة؟ | ٣٥ |
| ١. إزالة الخوف | ٣٥ |
| ٢. الكف عن محاولة التحكم | ٣٦ |
| استخدام أسلوب تربية النسور | ٣٦ |
| ٣. اللعب والمرح | ٤٤ |
| ٤. مصادقة الابن | ٤٩ |

٥. الحب بلا شروط ٥٠
٦. التفهم ٥٢
٧. الاحترام ٥٤
٨. لمسة الحنان ٥٦
٩. القدوة ٥٦
١٠. أكثر من الإيذاعات ٥٨
- قانون العناية بالإوزة ٥٨
- الحلقة المفرغة ٦٠
- افعل Do - لا تفعل Don't ٦٧
- ثانياً: اصطيات الإيجابيات ٧٥
- كيف نصطاد الإيجابيات ؟ ٧٧
- تعلم من السلطعون (السرطان) ٨٣
- السرطان الحكيم ٨٧

- ٩١..... ثالثاً: إعادة توجيه السلبيات
- ٩٣..... كيف نعيد توجيه السلبيات ؟
- ١١٥..... العقوبة المتقنة
- العوادات السبع للناس الأكثر
- ١٢٤..... فعالية





من الأمور المدهشة في الحياة الطُرف والقصص والحكايا والأمثال الشعبية التي يتناقلها الناس فيما بينهم، ومنذ كنت صغيراً كان لدي سؤال محير، وهو: من يُولف النكات، ومن أين تبدأ القصص؟ وكنت أفكر أحياناً عندما أسمع نكتة ما، أن أسأل راويها ممن سمعها ثم أتابع حتى أصل إلى مصدر النكتة. ولكنني لم أفعل، ربما لقناعتي منذ ذلك الحين بأنني لن أصل إلى شيء. وكما تعلمون فإنه من العبث محاولة معرفة أين بدأت نكتة معينة أو قصة طريفة أو حتى إشاعة ما، وحين أردت أن أكتب مقدمة هذا الكتاب فإني شعرت بالشعور نفسه وتذكرت سؤال المحير ذاته: من يُولف النكات، ومن أين تبدأ القصص؟

للهولة الأولى قد يبدو أنني أنا شخصياً مؤلف هذا الكتاب، وأن قصة كتابته تبدأ يوم أمسكت بالقلم وبدأت أسطر بعض الفكر، ولكن بعد النظرة العميقة خطر في بالي أن القصة بدأت يوم رزقت بطفلي الأول، وبنظرة أعمق وجدت أن القصة ربما بدأت حين تزوجت، وبالتدقيق أكثر وجدت أن الأولى أن تكون بداية القصة حين كنت طفلاً صغيراً، وكان والدي -رحمه الله- ووالدي -حفظها الله- يتعاونان في تربيته، ثم استرسلت مع طريقتي نفسها في التفكير لأصل إلى جدودي وجداتي ومن ثم إلى مزيد من الأجداد، وكم كانت دهشتي

شديدة عندما اكتشفت أن قصة كتابي ترجع إلى مئات من السنين التي تراكمت في أثنائها طرق ومهارات تربوية مختلفة متباينة ومتناقضة بعضها مفيد وغالبها لا يسمن ولا يغني من جوع.

تذكرت والدي - رحمه الله - وتذكرت معه عصا الخيزران التي كانت ترقد بسلام فوق خزانته إلى أن أرتكب مخالفة يراها والدي شديدة فكان يتصل بي ويطلب مني أن أجهز الخيزرانة ريثما يأتي، وكانت فترة الانتظار هي الأشد رعباً وكثيراً ما تدخلت جهود دبلوماسية حثيثة من جدتي - رحمه الله - لمحاولة حل المشكلة بالطرق السلمية، وكانت مساعيها تنجح غالباً، خاصة أنني الطفل المدلل في الأسرة، كيف لا وأنا الصبي الوحيد الذي جاء بعد أربع بنات (جئت على شفحة ولفحة) ولا أدري ما الشفحة ولا اللفحة، وإذا كان أحد القراء لديه عادتي نفسها في تتبع أصل الأمور فلعله يقوم مشكوراً بتقصي أصل الشفحة واللفحة، المهم مع أن الوساطة الدبلوماسية كانت غالباً ما تجدي إلا أنني كطفل صغير - في ذلك الوقت - كنت أتلقى شحنات من الرعب الذي زرع في قلبي تجاه والدي وتجاه الخيزرانة، وتمر الأيام وأجد نفسي أباً لأربعة أبناء، صبيين وبنتين (ياسين - معاذ - زاهرة - فاطمة) والخامس أو الخامسة - لست أدري - قد بدأ مشاكساته وهو ما زال في بطن أمه*، وكنت قد أقسمت في سري أني لن أعامل أولادي بالطريقة التي عوملت بها، ولكن الإنسان ينسى. وكم كانت صدمتي بالغة يوم وعيت فجأة أن لدي خيزرانة موضوعة في مكانها المحدد في منزلي، وأن أبنائي (الصبيان المساكين) قد تجرعوا من مرارتي ومرارتها ما كان كافياً ليحوّل حياتنا إلى جحيم، لقد كانت صدمتي بالغة لأسباب عدة:

(*) عند مراجعة الكتاب كان خالد (الخامس) قد انضم للمجموعة.

١. لأنني اكتشفت أن التاريخ يعيد نفسه.
 ٢. لأنني اكتشفت أنني حثت بقسمي.
 ٣. لأنني اكتشفت كم كان والدي - رحمه الله - يحبني، وأن الطريقة التي كان يستخدمها ما هي إلا وسيلة خاطئة للتعبير عن حبه ورغبته في إيصالي إلى أفضل ما يمكن.
 ٤. لأنني اكتشفت أنني تحولت إلى (بعبع) في نظر أولادي وأنهم ينتظرون بفارغ الصبر لحظة مغادرتي المنزل ليتنفسوا الصعداء، لقد كانت صدمة لي أن أعني أن ذهابي - وليس قدومي - هو مصدر سعادة أبنائي.
 ٥. لأنني اكتشفت أن النتائج التي وصلت أسرتي إليها لم تكن هي التي أريدها، ومع ذلك فقد كنت أنا المسؤول عن تلك النتائج.
 ٦. لأنني مع كل ما اكتشفته كنت أقف حائراً لا أدري ماذا أفعل ومن أين أبدأ؟!.
 ٧. لأنني اكتشفت أن أبنائي جواهر، ولكنني كنت حداداً، استخدمت معهم مطرقة الحداد وعضلات الحداد ونار الحداد.
- في ذلك اليوم قررت قراراً مصيرياً يصلح أن يكون بداية لا بأس بها لمضمون هذا الكتاب، لقد كان القرار هو أنني سأعتزل الحدادة، وأبدأ بتعلم مهنة الصائغ، وأدوات الصياغة، وحساسية الصائغ ورقته.
- ولكن هل كان الأمر سهلاً؟ اللهم لا وألف لا.
- هل أتقنت هذه المهنة الراقية؟ اللهم لا وألف لا.

هل كان هناك عوائق؟ بالطبع وكان أكبر عائق هو إتقاني لمهنة الحدادة التي ورثتها عن آبائي وأجدادي كابرأ عن كابر. وكأني حين قررت التخلي عن هذه المهنة، لم ترض هي أن تتخلي عني، وبقيت مهاراتي القديمة تتدخل في تعليمي لمهنة الصياغة وما زالت إلى يومي هذا، ولو شئت لأخبرتكم بما فعلته من يومين أو ثلاثة.... ولكن

لقد ظهر الفرق، وكان فرقاً جوهرياً، فقد كنت أمارس مهارات الحدادة تحت عنوان: واجبي التربوي، أما الآن فقد صرت أمارسها تحت عنوان: أخطائي التربوية.

وقد احتاج مني هذا التفريق إلى قدر غير قليل من الشجاعة والصدق مع النفس، كما احتاج إلى مقدار كبير من التواضع، والأصعب من ذلك كله هو فترة التخلص من الإرساءات القديمة وإعادة برمجة نفسي من جديد، ولكم أن تتخيلوا صعوبة تحول الجزار "أبو كاسم" إلى الدكتور "أبو كاسم" الاختصاصي في الجراحة التنظيرية للعين. أعتقد أن أحداً لن يسلم عينيه لأبي كاسم، ولكن فرصة كاسم في إتقان المهارات الجديدة ستكون أكبر بكثير.

المهم أني بدأت تلك الرحلة، واستغرقت مني حتى الآن حوالي أربع سنوات مع كثير من الصراع في داخلي وأنا أمزق قناعاتي البالية ومهاراتي الرّاضية، وكثير من الصراع الخارجي مع من حولي ممن ما زال متمسكاً بإرثه، وما زال يلقي باللائمة على هذا الجيل وعلى المدارس الفاسدة ورفاق السوء وعلى التلفاز وشبكة الاتصالات (الأنترنت) وعلى زوجته التي لم تعرف كيف تربي الأبناء، وعلى حظه التعيس، وربما على المؤامرات الخارجية التي تحاك لإفساد أبنائه، ولم يدر المسكين أن المشكلة في قناعاته، وفي أدواته ومهاراته.

ما الذي ساعدني خلال هذه الفترة ؟

أمور ستة كان لها الفضل بعد توفيق الله عز وجل :

١ . قراءة مجموعة من الكتب الحديثة في مجال التربية وعلى رأسها كتاب (العادات السبع للأسر الأكثر فعالية)، ومع أن الكتاب قد لا يعده البعض كتاباً في التربية لأنه لا يذكر لك مهارات تربوية تفصيلية إلا أنه عندي يعد من أهم كتب التربية لأنه ينسجم مع فهمي الجديد الذي طرحته مرة في إحدى المحاضرات حين قلت للحضور :

إن مصطلح تربية الأبناء مصطلح مضلل ؛ لأنه يوحي بأنك ستمسك بأدوات معينة وتتجه بها إلى أبنائك لتربيتهم، لتؤدبهم، لتصلحهم. وما صرت أفهمه عن التربية أنها تربية لذواتنا وتوجيه الأدوات التربوية لإصلاح أنفسنا وجعلها قدوة صالحة يتعلم منها الأبناء بلسان الحال وليس بلسان المقال.

٢ . حضور مجموعة من الدورات التدريبية التي زودتني بمجموعة من المهارات الفعالة جداً، لأنها كانت مهارات تعمل نحو الداخل، فككتني وركبتني من جديد، وعلى رأسها دورات البرمجة اللغوية العصبية ودورة العادات السبع للناس الأكثر فعالية والتي كانت تركز دائماً على أن التغيير يبدأ من الداخل: من القناعات، من الأفكار، من القيم، من المهارات.

٣ . زوجتي العظيمة التي أشهد أنها كانت خيراً مني في امتلاك تلك المهارات الجديدة مع أنني كنت أنا مدربها، ولا عجب فكم من تلميذ فاق أستاذه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ولعل من الأسباب أن زوجتي كانت أقرب إلى أن تكون (كاسم) من أن تكون (أبو كاسم)، لذلك كنت أعلمها

المهارة فتطبقها مباشرة فأتعلم من تطبيقها ما لم أكن أفهمه عملياً.

٤. احتكاكي بمربّ فاضل كان قد سبقني بسنوات وخرج من صندوق إرثه، وحقق على أرض الواقع نتائج تربوية مذهلة، كانت أصدق شاهد على مصداقية الطرق التي يستخدمها، وأكبر دليل على ضعف وتهلّل الطرق الموروثة السائدة رغم شعبيتها وانتشارها وتغلغلها في ثقافتنا وفي عقولنا وأعصابنا. وكان شعاره في التربية: أعطِ أبناءك المزيد من الحرية، أطلق طاقاتهم وسع خياراتهم.

٥. الاستشارات التربوية التي كنت أقدمها كانت تريني أسراً تابعوا في الطريق القديمة التي كنت أسلكها وتوغلوا فيها إلى أن وصلوا إلى طرق مسدودة، وانتهى بهم السعي إلى أمراض نفسية وعقد اجتماعية عندهم أو عند أبنائهم أو عند الطرفين معاً وهو الأغلب.

لقد كنت أرى أين كان يمكن أن أصل لولا لطف الله، ومن خلال مساعدة تلك الأسر كنت أزداد قناعة وتمكناً من المهارات الجديدة.

٦. بعض المقالات التربوية التي بدأت أكتبها في مجلة تواصل، والتي ساعدتني على أن أبلور خبراتي الجديدة وأصوغها كتابياً، وكان لهذه المقالات صدى طيب عزّز لديّ المضيّ قدماً، ثم قرأت مرة خلاصة عن كتاب لطيف لكين بلانشارد عنوانه (Whale Done) يتحدث عن تدريب الحيتان وكيف يمكن تطبيق هذه الاستراتيجية المميزة على تدريب الموظفين فاستعرتها ووظفتها في مجال التربية فكانت نواة الكتاب، ونواة الدورة التدريبية التي أقدمها بعنوان: التربية الفعالة. والاستراتيجية ذات الثلاث خطوات هي:

- بناء الثقة.
- اصطیاد الإيجابية.
- إعادة توجيه السلبيات.

وبعد أن كتبت الكتاب، أضفت إليه ما وجدته مناسباً من مقالاتي التي كنت قد نشرتها في مجلة تواصل، ثم طبعت بعض النسخ المبدئية ووزعتها على من أثق بخبراتهم التربوية ليزودوني بنصائحهم، وقد أثلج صدري إعجابهم بمضمون الكتاب وطريقته كما استفدت من ملاحظاتهم ونصائحهم وقمت ببعض التعديلات، وتوسعت في شرح بعض الفقرات، أو ذكرت رأيهم بجانب رأيي وتركت للقارئ الحق في أن يختار ما يعتقد أنه الأفضل.

وبعد... فهل هذا الكتاب منهج متكامل في التربية؟ بالطبع لا، وإنما هو مجموعة إضاءات مهمة وجدتها مفيدة حين طبقت عملياً، كما أنه تركيز على تبني منظومة من المفاهيم التربوية القائمة على التربية بالحب والثقة والقدوة والتعاطف وعدم الإكراه بدلاً من المنظومة التقليدية المنتشرة في بيوتنا ومدارسنا، والقائمة على العنف واللوم والعقاب والشدة والقسوة والإكراه.

وكان من جملة الملاحظات التي جاءتني أن هذا الكتاب هو مجموعة مثاليات لطيفة حاملة غير قابلة للتطبيق العملي، إلا أنه مفيد في تعديل الكفة قليلاً نحو التوازن التربوي المطلوب، وأنه صفقة لأولئك الذين سدرُوا في طرقهم الشديدة، ومع عدم موافقتي على أن الكتاب مجرد مثاليات غير قابلة للتطبيق لأنني أنا شخصياً استطعت أن أطبق الكثير مما فيه ولمست نتائج هذا

التطبيق كما أنني رأيت من استطاع أن يطبق ما جاء في الكتاب بل وأكثر منه، إلا أنني أقبل أن يكون الكتاب تعديلاً للكفة نحو التوازن، وأنصح من أراد أن يستفيد من هذا الكتاب أن يناقشه مع من يثق بخبرتهم وأن يحولوه إلى ورشة عمل، وأن يجهزوا أنفسهم لدفع الثمن، ثمن التغيير*، لأنه كثيراً ما مررت في أثناء رحلتي بمواقف كان أسهل شيء علي أن أرتد على عقبي وأن أصرخ بأعلى صوتي:

"بلا تربية حديثة بلا بطيخ"

كانت هذه مقدمة للكتاب حاولت خلالها أن أقص عليكم قصته من بدايتها فإن استطعتم أن تحددوا ما هي البداية فليتكم تخبروني لأنني ما زلت في سؤالي المحير:

من ساهم بتأليف هذا الكتاب وأين تبدأ قصته؟!

(*) جاءني أحد الآباء بعد حضوره للدورة ومحاولته مصادقة ابنته واللعب معها وفي وجهه مجموعة من الخدوش التي سببتها له ابنته دون قصد، وهما يتصارعان، وأخبرني أنه بقي ثلاثة أيام غاضباً منها. (هذا بعض الثمن).

في لقاء حي و مباشر نظمته إحدى الفضائيات العالمية، استضيف ذلك المربي الحكيم المتخصص في خفايا النفس البشرية و خباياها، الذي نجح في تنشئة جيل متوازن سليم فعال، بدءاً بأولاده و مروراً بطلابه و تلامذته، و انتهاءً بكل من تأثر بأفكاره و كتبه و مقالاته. و كان السؤال الأول:

- من أين اكتسبت كل هذه المعارف و الخبرات التربوية العملية الفعالة؟

- الحقيقة أن الأمر بدأ منذ نحو عشرين سنة، حين كنت أعاني من صعوبات جمة في تربية أولادي وخاصة المراهقين منهم، شأني شأن كثير من الآباء و الأمهات الذين اعتادوا أن يستخدموا الوسائل التربوية نفسها التي استخدمها معهم أهلهم من قبل، كنت أفعل الشيء نفسه الذي اعتدت أن أفعله، فأحصل على النتيجة نفسها التي طالما حصلت عليها، ثم بدأ التغيير الجذري في ذلك اليوم الذي دعاني فيه صديق لي لزيارة عرض لمدربي الدلافين. جلست يومها مثل أي متفرج عادي أشاهد ذلك العرض المثير، و انبهرت بالقفزات الرائعة و الاستعراضات المنظمة التي أدتها تلك الحيوانات الضخمة بمجرد أن يشير المدرب بيديه، و عندما انتهى العرض، ضج المكان بالتصفيق الحاد و تعالت صيحات التقدير من الجمهور،

ولكنني بقيت في مكاني مذهولاً تماماً، فقد استحوذ على تفكيري سؤال:

• كيف تمكن هذا المدرب من إقناع هذه الدلافين بأداء تلك الحركات المنظمة وتحقيق هذه النتائج المذهلة؟ .

حيرني السؤال، فلم ألحظ الجمهور وهو يغادر المكان، وبقيت وحيداً أقرب المدرب وهو يكافئ دلافينه على أدائها المتميز.

اقتربت من المدرب وعرفته بنفسي، ثم فاجأته بطلب غريب:

- أريد منك بعضاً من الدروس الخصوصية !

ظن أني أمزح ولكن حين لمس إصراري وجديتي تغيرت لكنته وسألني:

• بالله عليك، قل لي: ماذا تريد مني بالتحديد؟ .

- قلت له: أريد أن أعرف السر !

- أي سر؟

- السر في أن هذه الدلافين تفعل كل ما تأمرها به، كيف استطعت أن تروض هذه الحيوانات الضخمة وتجعلها طوع بنانك؟ هل تسيطر عليها بشحنات كهربائية أو أنك تتركها تجوع حتى تنفذ ما تأمرها به؟ أو لعلك تستخدم السوط أو...

قاطعني المدرب وقد بدا الاستياء على وجهه:

- ياللعار، أنا أربأ بنفسي أن أستخدم هذه الأساليب الوحشية في تدريب دلافيني العزيزة .

شعرت أنني أخطأت فحاولت الإصلاح قائلاً:

لا تسئ فهمي فأنا أعاني ما أعانيه في تربية أولادي وترويضهم وتعديل سلوكهم، وخطر في بالي أنه يمكن أن يكون هناك أمور كثيرة أتعلمها منك، ولعل هناك تشابهاً بين الأولاد وهذه الدلافين الرائعة، فهل يمكن أن تساعدني؟

انفرجت أساريه وابتسم قائلاً:

- هذا حسن، ولكن في البداية عليك أن تعرف أن التدريب بالإكراه والعنف لا يؤدي ثماره، فهذه الحيوانات تستطيع أن تفرس مدرّبها في لحظة واحدة، والعنف لا يؤدي إلا إلى الخوف، والخوف يشل الحركة، لذلك أول خطوة في التدريب الحقيقي هي إزالة الخوف من العلاقة بينك وبين المتدرب سواء كان حوتاً أم بشراً.

- ولكن ماذا لو أخطأ المتدرب ولم يتعلم الدرس، أو لم يؤد المطلوب! منه؟ ألا تعاقبه؟

أنا لا أنظر إلى المسألة من هذه الزاوية، وأستغرب منكم أيها المربون فأنتم مهومون فقط بالتعامل مع الذين لا يستجيبون، يبدو أنكم يا مدربي البشر تعملون في الاتجاه الخاطئ، فأنتم تهدرون طاقاتكم وأوقاتكم في التعامل مع الذين لا يستجيبون، إنكم في الحقيقة تحاولون أن تداروا فشلكم بمعاقبة الذين لا يستجيبون، إنكم تحاولون تغطية قلة مهارتكم ونقص خبرتكم بادعاء أنكم لم تفشلوا في التربية، ولكن الأبناء هم الذين فشلوا، ثم تتفنون بعد ذلك في إيجاد الأدلة الزائفة على هذا الادعاء الخاطئ، وتركزون على وسائل معاقبة المقصرين.

خذ اقرأ هذا المقال بعنوان: (الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون) ثم دعنا نتابع حديثنا.



أول خطوة في التربية والتعليم
إزالة الخوف



الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون :

حين يضرس الأبناء، أي: تظهر منهم بعض السلوكيات الخاطئة أو الانفعالية يغفل الآباء والأمهات عن دورهم الأساسي في خلق المشكلة، فالأبناء مرآة صافية تعكس بدقة نوعية الممارسات التربوية التي يتلقونها في البيت أو المدرسة، فحين يجنح المربون إلى التسلط، ويحاولون زيادة السيطرة على الابن، ويتدخلون في كل كبيرة وصغيرة من شؤونه، ينشأ ضعيف الشخصية ومؤهباً لمشاكل نفسية لا حصر لها.

و حين يفرطون في محاولة الحماية ويخافون على الابن من نسمة الهواء، ويخافون عليه من أي شيء، ينشأ الابن ضعيف الثقة بنفسه ومؤهباً لرهابات اجتماعية كثيرة.

و حين يهمل الطفل ويترك دون مكافآت أو تشجيع أو كلمات رضا واستحسان وقبول فإنه يفقد الحافز والدافع للعمل والدراسة ويصبح كسولاً خاملاً.

و حين يتراخى المربون في تربية الطفل، ويبالغون في تدليله والاستجابة لمطالبه كلها ينشأ الابن غير مكترث وتنمو عنده اللامبالاة والأنانية.

و حين يستخدم المربون أساليب القسوة والعنف البدني والنفسي ينشأ الطفل خائفاً متردداً ويزرع في قلبه الخوف والرعب الذي يولد الحقد والكراهية.

و حين يكثّر المربون من محاولة إصلاح الابن عن طريق الإقناع والحوار المنطقي يمل الابن وتفقد النصائح والمواعظ معناها ويصبح الابن متممراً هازئاً لامبالياً بكل ما يلقي على مسامعه من حكم ومواعظ.

وحين يكون المربون مذبذبين مضطربين يتصرفون بأشكال مختلفة تجاه السلوك الخاطيء نفسه فمرة يكافئون ومرة يعاقبون ومرة يصرخون ومرة يتوعدون ويهددون، فينشأ الطفل شديد التناقض دائم القلق لا يستطيع تمييز الخطأ من الصواب.

وحين يفاضل الأهل بين الأولاد ويقارنون ويفضلون أحدهم على إخوته تنشأ الغيرة والكراهية وحب الانتقام.

تذكر دائماً :

حين يضرس الأبناء فهذا يعني أن الأهل قد أفرطوا في أكل الحصرم

وما أولادنا إلا امرأة لنا

في أحد الأيام كان هناك متسلقان يصعدان طريقاً جبلياً، وفجأة وجدا نفسيهما وجهاً لوجه أمام دب ضخم، جلس أحدهما فوراً على الأرض وسحب زوجاً من أحذية الركض من حقيبته الموضوعة على ظهره وبدأ يتتعلهما بسرعة بعد خلع حذاء التسلق الضخم، فحدّق المتسلق الآخر فيه مندهشاً وسأله : ماذا تفعل ؟ هل تظن أنك تستطيع أن تسبق الدب ؟

أجاب المتسلق الأول : ليس المهم أن أسبق الدب، المهم أن أسبقك أنت !

لا مانع في أن نفكر كما فكر المتسلق الأول في بعض السياقات، ولكن هذا النمط من التفكير غير مقبول وغير عملي عندما نكون في إطار الأسرة، كان الحل لدى المتسلق الأول هو الهرب ومحاولة إبعاد نفسه عن الموقف الصعب، وربط نجاته بقدرته على التفوق في المناورة وهزيمة الآخر الذي يصبح ضحية لذلك الموقف الخطير، ولكن عندما يكون هذا الآخر

جزءاً أمني وأنا جزء منه، فلا معنى لنجاتي من دون نجاة الآخر إلا إذا قبلت بالقول الشائع: نجحت العملية ولكن المريض مات.

كثير من الآباء والأمهات يهربون من المواقف الصعبة، يهربون من تحمل المسؤولية ويحاولون إلقاءها على شخص آخر، لذلك يتركون كثيراً من واجباتهم التي لن يستطيع غيرهم القيام بها، يتركونها للروضة أو للمدرسة أو لمقدمي الرعاية أو لأي شخص أو جهة يرسلون الأطفال إليها.

كثير من الآباء والأمهات يأتون إلي في استشارة تربوية وهم يريدون منذ البداية أن يأتوا بابنهم المشاكس أو ابنتهم المراهقة لأصلحها لهم، ولكنني أصر على أن أقابل الأهل أولاً، وفي أكثر الأحيان لا أقابل إلا الأهل، لأن الإصلاح والحل يبدأ من الأهل وليس من الأبناء.

لا تتبنّ طريقة "المقاول العام"

في القيام بواجبك التربوي

باستعمال أو استئجار "مقاولين فرعيين"

للقيام بالعمل الفعلي المتمثل

ببناء أبنائك أو تدريبهم وتعليمهم وتربيتهم

أحياناً أشرح واجب الآباء والأمهات في حمل المسؤولية بمثال بسيط:

هل حدث معك أنك اكتشفت - بعد انتهائك من ارتداء القميص - أنك قد أخطأت في تزرير الأزرار بحيث بقي زر في الأعلى ليس له عروة أو بقيت عروة ليس لها زر؟ بالطبع كل منا

مر بهذه التجربة المضحكة وخاصة عندما نكون على عجلة من أمرنا، كيف نكتشف عادة أننا أخطأنا؟؟؟

طبعاً عندما ننظر إلى المرأة ونرى قبة مرتفعة وأخرى منخفضة.

ماذا نفعل عادة؟؟؟

طبعاً سوف نحمل المسؤولية ونصحح الخطأ.

إلى أين نتوجه بأيدينا عادة عندما نريد إصلاح الخطأ؟؟؟

طبعاً باتجاه أنفسنا، وبالرغم من أننا رأينا الخطأ هناك في المرأة إلا أن أي عاقل منا لن يتوجه بيديه نحو المرأة ليصلح الخطأ.

لماذا؟؟؟

لأننا إذا توجهنا بأيدينا نحو المرأة فسنكسرها ونجرح أيدينا، وعندئذ لا نرى الخطأ بالرغم من أنه ما زال موجوداً!

أبناؤنا - أيها الإخوة القراء - هم مرآة لنا نرى في تصرفاتهم انعكاساً لتصرفاتنا، نسمع في كلامهم صدى أقوالنا، فإن لم يعجبنا شيء فعلوه أو قالوه فلنتجه إلى أنفسنا ولنصلح منها، الطفل العنيد وراءه أم أو أب أعند منه، والابنة التي تخاف وراءها عادة أم تخاف أكثر منها، والابن الانفعالي وراءه أسرة رضع منها الانفعال، والأطفال الذين يصرخون وراءهم أسرة لم يعود فيها الأبوان نفسيهما ضبط النفس وإدارة الذات وخفض الصوت، والطفل الذي يضرب عندما يتزعج من شيء قد ضرب مراراً من قبل أبويه عندما انزعجوا منه.



مساكين أنتم يا أبناءنا، ما أكثر ما نعاقبكم
بسبب أخطائنا!

مساكين أنتم يا أبناءنا! ما أكثر ظلمنا لكم
بسبب تقصيرنا!

مساكين أنتم يا أبناءنا! ما أكثر ما نعاقبكم على
ما تعلمتموه منا!

مساكين أنتم يا أبناءنا! ما أكثر ما نلومكم على
أشياء نفعلها نحن أكثر منكم!

مساكين أنتم يا أبناءنا! كم مرة نضغط عليكم
للقيام بأمور فشلنا نحن في تحقيقها!

مساكين أنتم يا أبناءنا! كم مرة نكسر المرأة
ونرتاح من روية الخطأ المعشش فينا!

مساكين أنتم يا أبناءنا! كم نحملكم أوزارنا!
ثم إنكم بعد ذلك كله تحبوننا وتصفحون عنا
وترحموننا!!!



هل تعرفون لماذا تسامحونا؟

لأن قلبكم الصغير ما زال أبيض لم يتلوث، ولأن الله سبحانه قد حباكم بغلوبولينات مناعية نفسية تقيكم جهلنا وضعف مهارتنا وقلة حيلتنا، وعسى أن ننضج ونتعلم قبل أن ينتهي مفعول هذه الهبة الربانية.

لماذا نفعل ذلك بكم؟

لأننا نحبكم ونريدكم أن تكونوا أفضل منا، ومن الحب ما قتل!

فرق كبير بين أن نحمل المسؤولية، وأن نهرب منها ونلقيناها على أبناءنا.

نهرب من المسؤولية عندما نقول: إن المشكلة هناك عند الأبناء وهم في حاجة إلى إصلاح بعض القطع أو استبدالها.

نحمل المسؤولية عندما نعي أن الحل بأيدينا، وأن الذي يحتاج إلى إصلاح واستبدال هو مهارتنا التربوية وقدرتنا على ضبط أنفسنا.

تكمن المشكلة - كل المشكلة - عندما نعتقد أن المشكلة هناك (عند الأبناء)

بعكس متسلق الجبال الهارب ينبغي لنا -نحن المربين- أن نتحمل المسؤولية الكاملة في تربية أبناءنا، ولئن استعنا ببعض الدعم والمساندة الخارجية فإن هذا لا يلغي دورنا الأساسي ومشاركتنا الفعالة في هذه المهمة الحساسة.

يحاول بعض الناس الهروب حينما يرون الدب على أمل أنه سيأكل شخصاً آخر بدلاً منهم ولكن الدب كالمسؤوليات،

فهي ستمسك بك إذا حاولت الهرب منها، لذلك من الأفضل لك مواجهتها بدلاً من الهرب .

لا تهرب! اثبت وتحمل مسؤولية الأسرة بشكل كامل .
حول هذه المسؤولية إلى متعة .

وعندما تقوم بواجبك سيتعلم منك أبنائك كيف يتحملون هم المسؤولية .

لا حلول سحرية؛ ولا خيارات سريعة؛ ولا تجدي عادة بعض المسكنات .

الأمر يحتاج إلى الوقت والصبر؛ ولكن في النهاية تصبح المسؤولية مقياساً لحياتنا وسعادة أبنائنا .

أنهيت المقال وتأثرت به كثيراً فالتفتُ إلى المدرب الذي سألني بابتسامة : هل مازلت مصرّاً على أسلوب العقاب .

- شعرت ببعض الحرج، ولكنني قلت: أعتقد أن التعامل مع المقصرين بالنسبة إلي، هو مسألة بحث عن منبع لتقويم السلوك ليس إلا، والعقاب جزء مهم من التربية.

ولم أسمع منه سوى الصمت، ولم أكن أنا شخصياً مقتنعاً بما قلته للتو، وبعد قليل قال لي المدرب :

- باختصار، تتكون الاستراتيجية المثلى للتربية من ثلاثة محاور:

- ١ . بناء الثقة (Trust)
- ٢ . اصطياذ الايجابيات (+)
- ٣ . إعادة توجيه السلبيات (-)



إن أبناءنا جواهر

ولكن الكثيرين منا

- نحن الكبار -

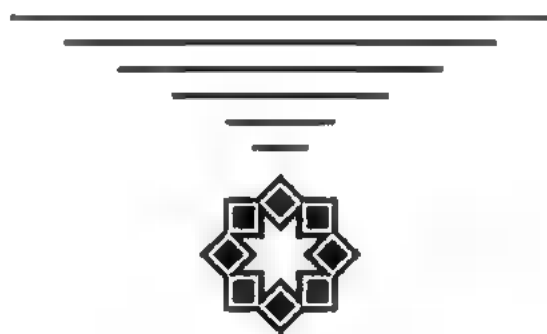
حدادون





الاستراتيجية المثلى للتربية





بناء الثقة

أولاً. كيف نبني الثقة؟

١. إزالة الخوف: وذلك بالامتناع عن أنواع العقاب المادي والمعنوي كافة، وهذا يعني التخلي عن كل ما اعتدناه من أساليب استخدامنا للقوة والعنف والإكراه والإجبار والتهديد واللوم والتأنيب والتوبيخ والشتائم وتقطيع الجبين والنظرة الشديدة ونبرة الصوت المرتفعة أو المنتقدة، لأن كل هذه الأساليب تبذر الخوف في النفس البشرية، والخوف يشل الحركة.

ومن الملاحظات التي جاء تني: اعتراض على موضوع تقطيع الجبين، قالت لي إحدى المربيات الفاضلات: لم تدع لنا شيئاً نرهب به الأبناء. فابتسمت وقلت لها: اطمئني فإنك مهما بذلت جهداً لمنع تقطيع الجبين فإنها سوف تظهر تلقائياً، ونحن نستعملها أكثر من المطلوب بكثير (ورأيي الشخصي أنه ليس استعمالها مطلوباً البتة).

كثير من الأهل مازالوا متمسكين بأهمية وجود "رهبة" في قلوب الأبناء تجاه الأهل، وينتقدون الابن الذي ليس لديه تلك الرهبة، والرهبة مشتقة من الخوف الذي يشل الحركة.

كثيرون يعتقدون أنهم لا يخيفون أبناءهم لأنهم لا يستخدمون الضرب أو التوبيخ، ولكن الأبناء يخافون من أمور كثيرة؛ منها

رفع الصوت، ومنها المقارنة، ومنها العقاب، ومنها المواعظ الطويلة، ومنها سحب الحب ومنها التظاهر بالحزن ومنها سحب القبول. أيها المربي اسأل ابنك: هل تخاف مني؟ وما الذي يخيفك عادة؟.

٢. الكف عن محاولة التحكم والسيطرة والوصاية والرغبة الجامحة في تحقيق نتائج معينة: وذلك بإعطاء المجال للأبناء ليمارسوا استقلاليتهم عن آبائهم وأمهاتهم شيئاً فشيئاً مع الاستعداد لتقبل حدوث مجموعة من الأخطاء لا بد منها وهي الثمن الذي لا فرار منه إذا أردنا لأبنائنا استقلالية نفسية ومعنوية وذهنية ومادية.

٣٦

استخدام أسلوب تربية النشور

يُعدّ الإنسان من أبطأ الكائنات الحية وصولاً إلى الاستقلالية عن والديه.

بعض الحشرات مثلاً تكون مستقلة منذ اللحظة الأولى لوجودها، بعض الحيوانات تستقل بمجرد أن تفقس عنها البيضة، وبعضها يحتاج إلى بضع ساعات أو أيام حتى يستقل، في حين ربما يحتاج بعضها إلى بضعة أسابيع أو أشهر، ولكنني لم أسمع عن أي كائن حي يحتاج إلى سنوات طويلة حتى يستقل عن والديه باستثناء هذا الكائن العجيب المعقد (الإنسان).

ولعل السبب الكامن خلف هذا الاختلاف أن الإنسان هو الوحيد الذي جعل الله مسؤولية إيصاله إلى الاستقلال في عنق والديه وجعلها محلاً للتكليف، في حين تكفل سبحانه - وهو الهادي - ببقية الكائنات ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه ٥٠ / ٢٠] ولذلك نجد أن مختلف الكائنات تستقل وفق

أزمنة مقدرة ومحددة ودقيقة، كل حسب البرنامج الذي قدّر له ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل ٢٧ / ٨٨].

أما الإنسان فنجد اختلافاً كبيراً في الزمن اللازم له ليستقل، فبينما يستقل بعض الأطفال عن الوالدين في سن مبكرة لا تتجاوز عشر السنوات إلى الأربع عشرة سنة فإن بعضهم الآخر قد لا يستقل حتى العشرين أو الثلاثين سنة، كما أن هناك بعضاً آخر يبقى معتمداً على والديه إلى أن يفقداهم، وعندئذ يبحث عن بدائل ليعتمد عليها، ويبقى معتمداً على الآخرين طوال حياته.

ويمكن أن نلخص دور الوالدين في تدريب أبنائهم على الاستقلالية في أبكر وقت ممكن، ومن ثم الانسحاب التدريجي من حياتهم مع البقاء بوصفهم مراجع وخبرات يستعين بها الأبناء عند الحاجة.

هذا ما تفعله النسور عادة، فالنسور تبني أعشاشها على قمم الجبال الشاهقة حيث العواصف والثلوج والأمطار، عندما يبني النسر عشه الضخم يضع في داخله مجموعة من الحصى والقطع الزجاجية، وحينما تولد صغار النسور يوفر لهم الآباء التغذية من طعامهم وحينما يكبر الصغار تبدأ الأم تدريجياً في زيادة مستوى قسوة الحياة في العش شيئاً فشيئاً فيبدأ الصغار بتسليق جوانب العش الضخم هرباً من هذه القسوة، وأخيراً تزيد الأم من قسوة الحياة في العش إلى أبعد حد فلا تترك لصغارها سوى الصخور والحصى والزجاج، وهنا يبدأ مفعول الحب القاسي. فعندما يبلغ الصغار قمة العش، تدفع الأم واحداً منهم ليندفع بسرعة شديدة إلى أسفل حتى يبدو الأمر كما لو كان سيلقى حتفه على الصخور المدببة، وفي اللحظة الأخيرة تندفع

الأم إلى أسفل وتتلقى صغيرها على ظهرها ثم تكرر الأم هذه العملية إلى أن يتعلم كل الصغار الطيران بأنفسهم، وهنا تنتهي وظيفة الأم، وتلك هي التربية الناجحة: أن تنتهي وظيفتك بعد أن تكون قد أعددت أفراداً أسوياء أكفاء ومستعدين لوضع بصمتهم في هذا العالم.

هذا ما تفعله النسور غريزياً بهداية الله سبحانه، ولكن...
ما الذي يحدث مقابله في عالم الإنسان؟

يولد الطفل ضعيفاً جداً معتمداً على والديه اعتماداً كلياً
جسدياً، ذهنياً، مادياً، عاطفياً:

جسدياً: لا يقدر الطفل أن يمشي أو يأكل أو يشرب أو حتى
يقضي حاجته وحده.

ذهنياً: لا يقدر أن يفكر أو يتخذ قراراً حراً أو يكون له
رأي.

مادياً: لا يقدر أن ينتج أو يكسب قوت يومه.

عاطفياً: لا يقدر أن يعيش دون حنان الأبوين وحبهم
وتشجيعهم ودعمهم المعنوي له، حتى إن بعض التجارب
التي أجريت على بعض الأطفال الذين توافرت لهم كل وسائل
الراحة والتغذية والصحة ولكنهم حرموا من الحنان والحب
والقبلات والاحتضان قد انتهت بموت كثير منهم بسبب هذا
العوز العاطفي.

ومما لا شك فيه أن اعتماد الطفل على أبويه جسدياً وذهنياً
ومادياً وعاطفياً في هذه المرحلة من العمر أمر طبيعي ومفهوم،
يبدأ بعده الطفل شيئاً فشيئاً بالاستقلال عن والديه، وأول ما
يستقل به هو الناحية الجسدية، حيث يتعلم المشي، ويستطيع

أن يأكل ويشرب ويقضي حاجته وحده، ولكن ماذا لو أن طفلاً
كبر وتجاوز عشر سنوات ولم يستقل جسدياً؟ بالطبع هذا الطفل
معاق (إعاقة جسدية).

أيضاً يبدأ الطفل شيئاً فشيئاً بالاستقلال ذهنياً عن والديه
حيث يصبح له عالمه الذهني الخاص وقراره ورأيه وتعجبه
أشياء ويكره أشياء ويقبل ويرفض ويتمرد ويصرّ أما إذا لم
تحدث هذه الاستقلالية بالتدريج وبقي معتمداً ذهنياً على
والديه فهذا يدل على طفل معاق (إعاقة ذهنية وعقلية).

٣٩

كذلك مع نمو الطفل شيئاً فشيئاً يبدأ باكتساب مهارات
معينة وتقوى عضلاته ويمكن أن يصبح قادراً على العمل
واكتساب ما يؤمن له رزقه وقوته ولو على الأقل الحد الأدنى،
فلو أنه اضطر إلى الاعتماد على نفسه فإنه لن يموت جوعاً، فقد
صار قادراً على العمل والكسب، أما إذا كبر الطفل وبقي غير
قادر على الكسب ومعتمداً كلياً على والديه فهو في هذه الحالة
معاق (إعاقة مادية).

وأخيراً مع نمو الطفل ونضجه يفترض أن يبدأ بالاستقلال
العاطفي عن أبويه فتقل حاجته شيئاً فشيئاً إلى الدعم والمساندة
العاطفية وتنمو قدرته على مواجهة مصاعب الحياة ويشتد عوده
ويمتلك الحكمة والمحكمة التي تعينه على عدم التأثر السلبي
بالظروف الخارجية، وما يفعله الآخرون، وما يقوله الناس،
ورأي الناس فيه. أما إذا كبر الطفل وبقي معتمداً على رأي
الناس، ويتأثر بما يقوله الآخرون، وكلمة ما تسعده وأخرى
تزعجه، وموقف ما ينغص عليه حياته فإن هذا الإنسان لم
يستقل عاطفياً، وما زال يعاني مما يمكن أن نسميه: (إعاقة
عاطفية).

وهذا الكلام قد يصدم كثيراً من القراء الأعزاء وقد يرفضونه ويقولون: هذا غير صحيح، لأن كل إنسان لابد من أن يتأثر بالمواقف السلبية ولا بد أن يتزعج ولا يمكن لأحد أن يتحكم في مشاعره.

والحقيقة أن مجتمعاتنا بشكل عام ما زالت غير ناضجة بشكل كافٍ، وما زالت تعاني من إعاقة عاطفية، ومزاجية، وانفعالية، على اختلاف وتفاوت في درجة هذه الإعاقة، ونظراً لأننا فقد الشيء لا يعطيه، فإن من الصعب جداً على الأهل أن يوصلوا أبناءهم إلى ذلك الاستقلال العاطفي وهم يحملون قدراً لا بأس به من الإعاقة العاطفية، ولا تحسبوا أنني وأنا أكتب هذه الكلمات أزعم أنني تحررت تماماً من هذه الإعاقة، ولكنني عندما استشعرتها ورأيت آثارها في حياتي ومن ثم في حياة أسرتي ومن حولي، بدأت أدرب نفسي لأخفف منها شيئاً فشيئاً، ولكننا في مجتمعنا ينطبق علينا المثل القائل (افتضحوا فاصطلحوا).

فكلنا انفعاليون وكلنا مزاجيون، فاتفقنا على أن هذا الوضع طبيعي، وأن الإنسان بطبيعة خلقته معاق عاطفياً مع أن الله تعالى يقول ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين ٤/٩٥].

ولعل سائلاً يسأل: ما السر الذي يجعل الأهل مع حرصهم الشديد على مصلحة أولادهم ومحبتهم الشديدة لهم ورغبتهم الصادقة في تربيتهم التربية المثلى، يقعون في هذا الفخ: فخ استمرار الرغبة في التحكم والسيطرة ومن ثم حرمان الأبناء من حقهم الطبيعي في النمو والنضج والاستقلال التدريجي، مما يؤدي إلى حدوث إعاقة ذهنية ومادية وعاطفية عند الأبناء؟.

أعتقد أن السر وراء ذلك هو الطول النسبي لفترة النمو عند الإنسان قياساً إلى بقية الكائنات، فعندما يكون الطفل صغيراً يكون خوف الوالدين عليه بالغاً، وبالتالي يكون تحكمهم فيه كبيراً لمدة سنوات وحين يحتاج هذا الابن إلى زيادة تدريجية في الاستقلالية يكون الوالدان قد اعتادا التحكم والسيطرة بحيث صار يعز عليهما أن يفقدتا تلك السلطة. وكم وكم جاءتني أمهات وصل أبنائهن إلى عمر الخمس عشرة سنة وأحياناً العشرين وهن يشكين خوفهن فقدان السيطرة والتحكم بسلوك أبنائهن، وكثيراً ما أفاجئ أولئك الأمهات بأن أقول:

“وهو المطلوب”

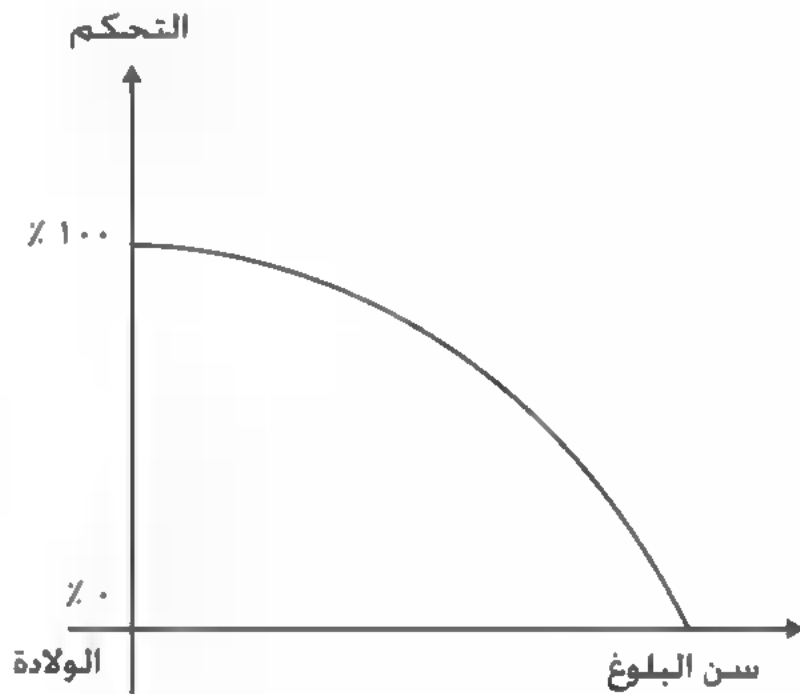
أي إن المطلوب من الأهل هو أن يفقدوا السيطرة والتحكم شيئاً فشيئاً حتى يصل الأبناء إلى سن المراهقة وقد فقد الأهل السيطرة والتحكم تماماً وحل محلها العلاقة الطيبة والصداقة والتناصح والتفاهم والاحترام المتبادل والفرح بوجود اختلاف في وجهات النظر.



يجب على المربين أن يتصرفوا
كما تتصرف النسور إذا كانوا
يريدون للأبناء أن يحلقوا عالياً



ولو أننا أحيينا أن نسط الموضوع فيمكن أن نتخيل محوراً يمثل عمر الأطفال من الولادة إلى سن البلوغ ومحوراً يمثل التحكم الذي يكون كاملاً عند الولادة ١٠٠٪ وينعدم عند سن البلوغ أو قبل ذلك إن أمكن.



وعلىنا أن نلاحظ أن هذه التربية القاسية ما كانت لتعطي الأثر المطلوب لولا بناء الثقة القوية أولاً.

٣. اللعب والمرح: وهما من أهم الأمور التي تبني الثقة وتقوي العلاقة، وعندما يلعب الأبناء مع آبائهم فإن هذه أول دلالة على أنهم أصبحوا جاهزين للاستجابة لما يريده منهم آبائهم، إن اللعب مع الأبناء يبني الثقة ويؤسس الألفة ويسر قنوات اتصال فائقة الجودة يمكن من خلالها تحقيق نتائج مذهلة، فكم من الأفكار المهمة يمكن غرسها عند الأبناء من خلال لعبة أو طرفة أو قصة وأذكر مرة ما حدث معنا في لقاء أسري حميم:

اجتمع أفراد أسرتنا في غرفة واحدة لتناقش ولتتفق على بعض الأمور التي تزيد من سعادة الأسرة، ولنلعب بعض الألعاب اللطيفة، ونتناول الحلويات.

وكنت قد جهزت علبة مغلفة بورق الهدايا الملون، فقلت لهم: قد أحضرت لكم لعبة جديدة سنستمتع بها الآن، هجم معاذ وزاهرة على العلبة وانقضا على الورق يمزقانه ليخرجا لعبة النيشان (لعبة الشكاكة أو لعبة الهدف).

وبدأت بعض المباريات التي اشترك فيها جميع أفراد الأسرة، وكان معاذ هو الفائز في كل مرة بلا منازع، وفجأة قلت لهم: الآن سأدرب أفراد الأسرة لمدة دقيقتين بحيث يفوزون جميعاً على معاذ، ضحك معاذ وقال: مستحيل لا يمكنكم أن تفوزوا علي، فأنا الأول بلا منازع.

ابتسمت وقلت: صحيح لن نفوز عليك إلا إن أجرينا تعديلاً بسيطاً في شروط اللعبة، حيث سنعصب عينيك بحيث لا ترى شيئاً ثم نضعك في منتصف الغرفة ونجعلك تدور حول نفسك عشر مرات، ثم سنبدأ بالتنافس معك، وأنا أضمن منذ الآن أننا جميعاً سنهزمك في منتهى السهولة.

قال معاذ: ما هذا الكلام! طبعاً ستهزمونني بهذه الطريقة! كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً لا يراه؟! .

انتهزتُ الفرصة وقلت: سؤال وجيه فعلاً، كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً لا يراه؟ سؤال في غاية الأهمية دعونا نفكر فيه جميعاً: كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً لا يراه؟

وهناك سؤال أوجه منه:

٤٥

كيف يمكن لإنسان أن يصيب هدفاً ليس له وجود؟

كثيرون في هذه الحياة، يعيشون بلا هدف واضح محدد، ثم يستغربون لماذا لم يحققوا نجاحاً في حياتهم، لماذا فشلوا؟ لماذا لم ينجزوا أي هدف. ونحن نتعجب من هؤلاء ونسألهم السؤال نفسه:

كيف يمكن لهم أن ينجزوا هدفاً ليس له وجود؟

قالت زوجتي: دعونا نلعب هذه اللعبة، ووزعت على كل فرد من أفراد الأسرة صفحة بيضاء مقسومة قسمين وقلماً، ثم قالت: أرجو من الجميع اتباع التعليمات التالية:

- نرجو من كل فرد من أفراد الأسرة أن يرسم عشرة خطوط مستقيمة بشكل عشوائي، بالطريقة التي تعجبه.

والآن بقي لكل فرد خطان مستقيمان عليه أن يرسم بهما بيتاً جميلاً مستعيناً بالخطوط العشرة التي رسمها عشوائياً. ابدؤوا.

قالت زاهرة: لماذا لم نخبرنا منذ البداية؟

ضحكت زوجتي وقالت: ابدئي الآن.

وبعد أن حاول كل منهم وبذل جهده كانت النتائج مضحكة، فقالت زوجتي:

والآن في النصف السفلي من الورقة نرجو من الجميع أن يرسموا بيتاً جميلاً باستخدام اثني عشر خطاً مستقيماً. تفضلوا بالبدء.

والآن قارنوا بين الرسمة الأولى والثانية وقلوا لي: ماذا نتعلم؟

قال ياسين: عندما نحدد هدفنا منذ البداية فإن النتيجة التي نحصل عليها تكون أفضل بكثير.

قلت: أحسنت يا ياسين، لذلك علينا نحن بوصفنا أسرة أن نحدد أهدافنا الأسرية، وما الذي نريد أن نحققه معاً، وكيف يمكن أن يعين كل منا الآخر لتحقيق هذه الأهداف؟

تعالوا نجب عن هذه الأسئلة معاً:

- ما الأهداف الأولى لأسرتنا؟

- ما أهم المبادئ التي نعتمدها؟

- ما نوعية العلاقات التي نريدها أن تسود بيننا؟

- ما الأسلوب الذي نريد أن نتعاون ونتحدث به بعضنا مع بعض؟

- ما الأشياء التي نريد أن نفعلها معاً؟

- ما الأشياء التي يريد كل فرد منا أن يفعلها وحده وكيف نساعده على ذلك؟

- ما النشاطات المشتركة التي يستمتع بها الجميع ويستفيدون منها؟

- ما المهارات و المواهب و القدرات التي يتمتع بها أفراد الأسرة أو التي يمكن أن يكتسبوها؟

- ما واجب أسرتنا تجاه المجتمع الذي نعيش فيه و تجاه الإنسانية عامة؟

- ما الأخلاقيات التي نريدها أن تسود بيننا؟ وبيننا وبين الآخرين؟

إن الطريقة المشتركة التي نتوصل بها إلى الإجابة عن هذه الأسئلة لا تقل أهمية عن الأجوبة التي نحصل عليها، إنها ترسم المسار و تحدد الجهة التي تتجه إليها الأسرة. إن بلورة أهداف الأسرة قد أعان عدداً كبيراً من الأسر على تجاوز كثير من المشاكل العالقة، وفتح الطريق أمام حياة رحيمة خصبة وافرة بالإنجاز و الحب و التعاون و تحقيق أهداف عظيمة فردية و أسرية و اجتماعية.

إن معرفة هذه الأهداف من قبل الجميع و مناقشتها باستمرار و مراجعتها و تنقيحها سيخلق جواً جديداً مختلفاً و ستكون هذه الأهداف بمثابة البوصلة التي تهدي الأسرة كلما ضلت عن مسارها.



ولنتذكر دائماً الحكم
التالية:

٤٨

“إن لم تساعدنا ظروفنا
فلتساعدنا أهدافنا”

“ليس المهم أين نحن الآن،
المهم أين نريد أن نكون”

“إن كانت إمكانياتنا
محدودة فأفاقنا بلا حدود”



٤. مصادقة الابن: إذا أردت أن تصادق طفلك فعليك أن تتذكر أن فمه أكثر يقظة من عقله، وأن الحلوى عادة أفضل عنده من الكتاب الجديد، وأن الثوب الملون أحب إليه من القول المزخرف، وأن اللعبة البسيطة التي تلعبها معه والنشاط الممتع الذي تشاركه فيه والرحلة الشائقة التي يجدر بك معها فيها أحب إليه من عشرات الآلاف التي تنفقها عليه وعلى دراسته وعلى البيت والسيارة.

والأب الذكي هو الذي يدخل البيت ويتحرى أن تكون في يده هدية أو تحفة أو طرفة فإن لم يجد فنكتة مضحكة أو حادثة طريفة أو قصة شائقة.

والعجيب أن جميع الآباء والأمهات يرغبون في مصادقة أبنائهم، ولكنهم للأسف لا يفعلون ذلك، هل تعلمون لماذا؟ لأنهم غير مستعدين لدفع الثمن، وهو التخلي عن السلطة والتحكم.

٥. الحب بلا شروط: الآباء والأمهات جميعهم يحبون أبناءهم من غير شروط، ولكن المشكلة الأساسية التي تخل عادة بالثقة هي أن الأبناء لا يعلمون ذلك، ولو أننا سألنا هؤلاء الأبناء: متى يحبكم آباؤكم وأمهاتكم؟ لوجدنا قائمة شبه تعجيزية على الأبناء أن يحققوها ليحبهم آباؤهم وأمهاتهم، والابن عادةً يستجيب لما في ذهنه، فإن اعتقد أن أمه لن تحبه إلا إذا كان متفوقاً، وأطاعها في كل شيء، وأكل الأطعمة التي لا يحبها، وامتنع عن فعل كثير من الأمور المبهجة له، وإذا درس ساعات طويلة، فعندها سيشعر هذا الابن بالإحباط، وسيأس من نيل محبة أمه وعندها تُفقد الثقة.

تحب ابنك بلا شروط عندما تسأله: متى أحبك؟ فيقول لك: دائماً، مهما فعلت فأنت تحبني، وعندما تسأله: لماذا أحبك؟ يقول لك: لأنني ابنك.

وإن أفضل وقت ندرّب به أنفسنا على إرسال رسالة الحب غير المشروط هي الأوقات التي اعتدنا أن نعنف فيها أبناءنا أو نلومهم.

استبدل بالتعنيف التفهم

واستبدل بتقطيعة الجبين الابتسامة

واستبدل باللوم كلمة: أحبك



رسالة الحب غير المشروط: أحبك
لأنك ابني، أحبك مهما فعلت،
أحبك مهما كنت



٦. التفهم: وهنا ينسى كثير من المربين قانون العدسة .

وعدسة الأبناء عادة تكون مختلفة كلياً عن عدسة الكبار، فاهتماماتهم وميولهم ورغباتهم مختلفة عنها عند الكبار، فقيم الصغار عادة هي اللعب والمرح والتسلية والمغامرة والاكتشاف والحرية والسؤال، أما قيم الكبار فتجنى نحو الجدية والتحكم والسيطرة وال ضبط، ومن هذا الاختلاف تحدث كثير من المشاكل . ولندكر أن هناك أشياء هي عندنا أوهام وهي عند الأطفال حقائق، ولن نظفر بصداقتهم إلا إذا رأينا الدنيا بعيونهم وعدستهم، ولعلمهم أعلم منا وأحكم، ولا تنس أن داخل كل منا طفلاً قد أهملناه ونسيناه منذ زمن بعيد.

إذا أردت أن تفهم ولدك فعليك أن تتذكر أن الله قد خلق لك أذنين اثنتين وقماً واحداً لتسمع أكثر مما تتكلم، كما أنه جعل لفمك ميزة هامة غير متوافرة للأذان وهي ميزة الإغلاق.

إذا أردت أن تسرع عملية النضج عند أبنائك فاستخدم أذنيك أكثر، استمع إليهم، افهم الدنيا من منظارهم، أما إن أردت أن يبقوا معتمدين عليك فأكثر من الكلام والمواعظ والدروس.



الأبناء يكبرون بأذاتنا
ويصغرون بأفواهنا



٧. الاحترام: يعامل الطفل عادةً على أنه مجرد طفل، وينسى المربون أن هذا الـ "مجرد طفل" هو إنسان مكرم له شخصيته وله مشاعره وله أفكاره وله تفاعله وحساسيته المرهفة مع كل كلمة يسمعها أو كل تصرف يمارس معه. على المربين أن يتواضعوا احتراماً أمام عظمة الطفل، وأن يفهموا أن كلمة الطفل مرادفة لكلمة الملك، وأن يشعروا بأن هذا الذي ينام بين ذراعيهم هو المستقبل بعينه، وأن من يلعب ويلهو الآن بين أقدامهم هو التاريخ بنفسه.

لي صديق عندما يدعى إلى وليمة غداء أو عشاء مع أسرته يسألهم هل سيجلس الأولاد معنا فإن قيل له: بل هناك طاولة للصغار فإنه يعتذر. وقد قال لي: لست مضطراً لتلبية دعوة من لا يحترم أبنائي.

نحن نطالب الأبناء عادة باحترامنا والطريق الوحيد التي توصلنا إلى ذلك هو أن نحترمهم نحن أولاً.

علينا أن نتخلى عن جمل ألفناها مثل:

عندما يتكلم الكبار يصمت الصغار، أنت مازلت صغيراً، لا دخل لك، لأنني أنا الكبير.

والفرق بين الاحترام الذي ندعو إليه والاحترام الذي اعتدنا عليه، هو الفرق بين الاحترام الموجود بين الأصدقاء، والاحترام الموجود بين الأبناء والآباء.

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن الفارق الرئيس بين هذين النوعين من الاحترام هو تلك ((الرغبة)) التي نتمسك بها والتي أرجوكم -أخي المربي أختي المربية- أن تتخلوا عنها.



عامل طفلك على أنه
السيد طفل



٨. لمسة حنان : إن الرسائل غير الملفوظة التي نرسلها إلى الأبناء كثير أما تكون أكثر أهمية من الكلمات ذاتها ، وكم قصر الأهل في مسح رؤوس أبنائهم وضمهم إلى الصدور بحنان ومحبة ودفع ، كم غفل الأهل عن أهمية القبلية والتربيت على الظهر والمداعبة وشيء من الدغدغة . وأعرفُ أما كادت أن تفقد علاقتها بابنها لأنها كانت لا تحب أن تقبله بعدما صار بعمر المراهقة فهي تنزعج من رائحته وتحيلوا حال هذا الابن الذي يُستقبل يومياً بنداء : اخلع حذاءك واغسل رجلك قبل أن تأتي إلينا .

٩. القدوة : لا يمكن بناء الثقة ما لم نكن أهلاً لها، ولن نكون أهلاً للثقة ما لم نكن قدوةً لأولادنا في سلوكنا وفي كلامنا وفي عاداتنا وفي مروتنا وفي استيعابنا وتفهمنا وضبطنا أنفسنا وفي حسن أخلاقنا . ولئن كانت الطريقة التربوية التي تعتمد على أن نطلب من أبنائنا ما نريده منهم ، هي طريقة فاشلة عادةً ولا تؤدي إلا إلى نتائج هزيلة ، فإن الطريقة التربوية المثلى هي أن نري الأبناء عملياً ما نريده منهم وذلك بأن نكون قدوة لهم .

ومن المعروف منذ قديم الزمان أن لسان الحال أبلغ بكثير من لسان المقال .

حال رجل في ألف رجل أبلغ من مقال ألف رجل في رجل

وهنا قد يستصعب الكثيرون هذا الكلام ويقولون ولكننا نحمل كثيراً من الأخطاء ونتمنى أن يتجاوز أبناءنا تلك الأخطاء وجوابي : كن قدوة لأبنائك بإطلاعهم على أخطائك بدلاً من التستر عليها ، وبطلب مساعدتهم لك في التخلص منها وبهذا تصبح قدوة لهم ولو كنت محملاً بالأخطاء . أما المعنى الذي اعتدنا عليه للقدوة وهو الشخص المثالي الذي ليس لديه أخطاء أو ثغرات فلا وجود له في هذه الحياة .



ما تريده من أبنائك، افعله أنت
معهم ولا تطالبهم به



١٠. أكثر من الإيداعات:

تحدث قصص التراث عن ذلك المزارع الفقير الذي اكتشف ذات يوم بيضة ذهبية لامعة تحت إوزته المدللة، اعتقد أنها خدعة ما، وهمم بقذفها جانباً، لكنه غير رأيه وأخذها كي يتأكد من حقيقتها.

يا للمفاجأة! البيضة من الذهب الخالص! لم يصدق المزارع حظه السعيد الذي ازداد أكثر حين بدأت العملية تتكرر يوماً بعد يوم. بيضة ذهبية كل يوم جعلت المزارع الفقير من كبار الأغنياء، ومع تزايد ثروته ازداد طمعه وقل صبره. ولما لم يعد يطيق الانتظار اليومي للحصول على البيض الذهبي، قرر أن يذبح الإوزة ليحصل على البيض الذهبي كله دفعة واحدة، لكنه حين ذبح الإوزة وجدها فارغة، لقد خسر الذهب وخسر إوزته المدللة في آن واحد.

كثيراً ما يستشهد د. ستيفن كوفي صاحب الكتاب المشهور (العادات السبع للناس الأكثر فاعلية) بهذه القصة الطريفة ليعرّف الفعالية بأنها توازن بين النتائج التي نريدها (البيض الذهبي) وأداة الإنتاج (الإوزة) ويسميه توازن الإنتاج والقدرة على الإنتاج (P/PC Balance) عندما نركز على البيض الذهبي ونهمل الإوزة تموت الإوزة ونفقد معها البيض الذهبي، عندما نركز على الإوزة ونهمل الذهب فلن يكون لدينا ما نأكله أو نطعمه للإوزة.

ويمكننا أن نستعير هذا المفهوم العميق لنشرح من خلاله قانوناً أساسياً من قوانين التربية سندعوه:

قانون العناية بالإوزة.

أغلب المربين يتجه تركيزهم نحو المخرجات التربوية يهتمون بالنتائج، يريدون من الأبناء نجاحاً متميزاً، ودرجات دراسية مرتفعة وحسن خلق وانضباطاً، والتزاماً وتعاوناً، وطاعة واهتماماً بمستقبلهم. وغير ذلك كثير من القائمة التي تكاد لا تنتهي.

وفي أثناء سعيهم المحموم لتحقيق هذه النتائج كثيراً ما يفقدون الصبر ويغريهم الطمع فيهملون العناية بالإوزة بل إنهم كثيراً ما يذبحون الإوزة بحجة مصلحة الأبناء وحب الأبناء، "ومن الحب ما ذبح".

ما الإوزة؟ وكيف تكون العناية بها؟

الإوزة هنا: الأبناء وتوازنهم النفسي من جهة، والعلاقة الطيبة بينهم وبين آبائهم من جهة أخرى.

عندما لا يُعطي الأبناء (الإوزة) النتائج التي نريدها (البيض الذهبي) فهذا يعني أن العلاقة بينهم وبين آبائهم يسودها جو كبير من التوتر والعنف والغضب والمشاعر السلبية، والصوت المرتفع، والإكراه والإجبار وأنواع مختلفة من العقوبات المادية والمعنوية.

أي إن الإوزة تكون قد ذبحت، أو أنها على وشك الاختناق.

كثيرة هي الاستشارات التي تأتيني يبدأ فيها الأب والأم بذكر مثالب أبنائهم من تمرد ومشاكسة وكسل وسوء خلق وعناد، وحين أسلط الضوء على العلاقة بينهم وبين أبنائهم تظهر المشكلة الحقيقية: لقد ذبح الأهل الإوزة.

كثيراً ما أسأل الأهل سؤالاً مربكاً فأطلب منهم أن يعطوني بالأرقام النسبة المئوية لحسن العلاقة بينهم وبين أبنائهم مفترضاً أن الدرجة المثلى هي ١٠٠٪ ودائماً تكون الإجابات أقل من ٣٠٪ وأحياناً تكون الإجابة ٠٪ وعندها يكون حالنا كما قال الشاعر:

لقد أسمعْتَ لو ناديتَ حياً

ولكن لا حياة لمن تُنادي

لا شك أن الأهل حريصون على أبنائهم، ولا شك في أن الأهل (غالباً) يملكون من الخبرات القيمة التي يحتاجها الأبناء، ولا شك أنه في كثير من الأحيان يكون لدى الأهل معلومات مهمة ينبغي أن يوصلوها إلى الأبناء ولكن ماذا لو أنني أمسكت بشجاعة الهاتف، وبدأت أتكلم، ولكن الحرارة مقطوعة، لا خط يصلني بالطرف الآخر؟!!

لن يجدي رفع الصوت في إيصال الرسالة، رفع الصوت يوصل فقط إلى البحة وتلف الأعصاب والأرق الليلي والضوضاء التي قد تغضب الجيران!

إن صاحبنا المزارع صاحب الإوزة لو كان حكيماً لركز على العناية بالإوزة التي كانت تقوم بها عليها بشكل رائع، وهذا هو حال أبنائنا، إنهم يقومون بأعمالهم بشكل رائع عندما نعتني بالعلاقة الطيبة بيننا وبينهم وفي كل مرة تنخفض العلاقة فعلينا أن نراجع أنفسنا لأننا بدأنا دون أن نشعر بخلق الإوزة.

الحلقة المفرغة:

عندما تكون العلاقة طيبة بين الأهل وأبنائهم، وعندما يكون الأهل قدوة حسنة لأبنائهم، فإن الأبناء يعطون أفضل

النتائج ويُخرجُ الأهل بالقدوة الحسنة والعلاقة الطيبة أفضل ما لدى أبنائهم.

و حين تضعف النتائج فإن الأهل من غير انتباه يضاعفون تركيزهم على النتائج بدلاً من أن يرجعوا إلى أنفسهم ويصلحوا من أفعالهم، فتزداد النتائج ضعفاً، فيزداد تركيز الأهل على النتائج أكثر، فتزداد النتائج ضعفاً، وهكذا يدخل الأهل في حلقة معيبة تكون بدايتها إخلالاً بالتوازن بين العناية بالإوزة والرغبة في البيض الذهبي وتكون نهايتها ذبح الإوزة وانقطاع الذهب وانقطاع التواصل بين الأهل وأبنائهم وجواً مفعماً بالمشاعر السلبية واللوم المتبادل، وإذا كان حظ الأسرة حسناً يصل الأهل إلى غرفة الاستشارات الأسرية والتربوية، حيث يفهمون تلك الحلقة المعيبة التي تاهوا فيها، ويبدؤون بالإصلاح من جديد بالتركيز على العناية بالإوزة وتحسين العلاقة مع الأبناء والتركيز على سلوكياتهم بدلاً من سلوك الأبناء وغض الطرف مؤقتاً عن النتائج التي يريدونها ريثما تتعافى الإوزة، ومع أن الأمر جد بسيط من حيث فهمه نظرياً إلا أنه جد معقد وصعب عند التطبيق العملي، لأن عوائق كثيرة ستمنع من الخروج من الحلقة المعيبة منها :

- إنكار الأهل للخطأ الذي بدأ عندهم .

- رفضهم التغيير لعاداتهم ولطبائعهم وإن اعترفوا بأخطائهم .

- عدم استعداد الأهل أن يدفعوا الثمن وهو المواظبة على التغيير لفترة طويلة من الزمن، لأن الحل لا يكون من خلال ضغطة زر، كجملة مصارحة أو اعتذار من الأبناء، ليس هناك حلول سحرية، ولا بد من صبر ومصابرة ودأب ومثابرة وأعتقد

أن الأهل في هذه المرحلة بحاجة إلى استشاريين أو مدربين أو داعمين ناصحين لهم، لأن أسهل شيء في هذه المرحلة الانزلاق إلى الحلقة المعيبة مرة أخرى، والمشكلة أن الانزلاق يرفع الثمن المطلوب للإصلاح بشكل مذهل .

- قلة صبر على بعض النتائج الفورية التي يعدونها سلبية، وهي مزيد من العناد ومزيد من التفلت ومزيد من التراجع عند الأبناء، الذين كانوا مكبلين بقيود الأهل فحين يخفف الأهل القيود يتسارع اندفاع الأبناء نحو الأمور السلبية التي يكرهها الأهل، وكم سمعنا من بعض الأهل أنهم يفضلون العودة إلى الحلقة المعيبة بإرادتهم بدلاً من أن يصبروا على مرارة الدواء، وبعضهم يقول : " بلا تربية حديثة بلا بطيخ " ويعودون إلى شحذ السكين ويتابعون طريقته الخاصة في معالجة الإوزة بذبذبها .

- العادات والتقاليد والثقافة التربوية الشائعة والمسيطرة التي تعزز الدخول إلى الحلقة المعيبة وتعزز التعسف في استخدام السلطة الوالدية وتعزز التربية القائمة على العنف والإكراه والعقوبات وتضخم مفاهيم السمع والطاعة والاحترام للأبوين، وتبالغ أي مبالغة في استخدام سلاح الرضا والغضب على الأبناء، مما يزيد من تمرد الذين لا يبالون برضا والديهم أو غضبهم، أو يعرض الذين يخافون من غضب الوالدين لمشاكل نفسية وصراعات عميقة .

- من أهم المبادئ التي تؤدي إلى البقاء في الحلقة المفرغة مبدأ التناقض العجيب، فأساليب الضغط والشدة المتبعة من الأهل الذين يدورون في الحلقة المفرغة تؤدي أحياناً إلى الحصول على بعض النتائج مما يغريهم بالبقاء في هذه الحلقة، أما من يحاول

الخروج منها فلا يحصل على نتائج في المرحلة الأولى، بل يحمصد العكس تماماً وهو مزيد من البعد عن النتائج، وهذا كما أسلفنا نتيجة طبيعية ريثما تتعافى الإوزة وتعطينا البيض الذهبي من جديد .

وهذا يذكرنا بطريقتنا القديمة في إصلاح الأمور، فإذا اختفت الصورة أو الصوت من جهاز التلفاز كان الحل ضربة على جداره فتعود الصورة أو الصوت وما هذه النتيجة المؤقتة إلا مجموعة مسامير ندقها في نعش هذا الجهاز ففي كل ضربة ضربناها كنا نخرب في الجهاز أكثر بكثير مما كنا نصلح حتى وإن حصلنا على نتيجة، فالحصول على نتيجة أمر مهم، لكن الأهم الاستمرار في إعطاء النتائج مدى العمر.

كلما ازدادت عنايتنا بالإوزة حصلنا على بيض أكثر

كلما ازدادت عنايتنا بأولادنا والعلاقة الطيبة معهم حصلنا على نتائج أفضل

و العكس صحيح.

كلما ركزنا على البيض وأهملنا الإوزة قل عدد البيض الذي سنحصل عليه.

كلما ركزنا على النتائج التي نريدها من أبنائنا وأهملنا العلاقة الطيبة معهم قلت النتائج واختنقت الإوزة.

احذروا من الوقوع في فخ النتائج المؤقتة التي قد تحدث بسبب ممارسات تربوية خاطئة تعتمد على الإكراه والشدة والعقوبة والتي سرعان ما ستوقف.



قاعدة مهمة:

ليس المهم أن نحصل الآن على
نتيجة بأي طريقة كانت.

المهم هو أن نحصل على نتائج
طيبة ومستمرة مدى العمر.



احذروا من الانزلاق دون انتباه إلى الحلقة المفرغة عندما تتوقف النتائج، فبدلاً من تغيير المسار نحو الاتجاه التربوي الصحيح فإن أكثر الأهل يصرون على التوغل أكثر وأكثر في الطريق الخاطئة ويصرون على خنق الإوزة حتى تموت في نهاية المطاف ولات حين مندم.

احذروا الاعتقاد بأن المشكلة هناك عند الأولاد فتوجهون بالإصلاح إلى هناك دون أن تفتنوا إلى أن حل المشكلة عندكم، في داخلكم، في توجيه أدوات الإصلاح إلى أنفسكم، إلى عاداتكم، إلى إدارتكم لأنفسكم ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١/١٣].

- طيب، خلصنا، ماذا تريدنا أن نفعل؟

أكاد أسمعها من أفواهكم بنبرة لا تخلو من امتعاض مع كثير من الشك - ربما - وشيء من العبوس يرسم الرقم (١١١١) على جبهاتكم.

بعضكم ابتسم الآن وهو يستشعر الرقم وسط جبينه .

وعجيبه هي الابتسامة كيف تبدد هذا العبوس وذلك التجهم.

نعم، هكذا أفضل، أكاد أسمع بعضكم يقول:

- حسن، إني أعترف أي - ربما - أخطأت مع أولادي في بعض الممارسات - بحسن نية طبعاً - ولكن النتيجة أنني خنقت الإوزة أو كدت أخنقها أو كما قلت في الماضي: ذبحت الإوزة أو كدت أذبحها، فما العمل؟

- اطمئنوا، ليس ثمة مشكلة ليس لها حل، وما دامت الإوزة تتنفس ولو بصعوبة فما زال هناك أمل واسع في إنعاشها، تقولون:

- "كيف؟"

دعونا نتابع:

إنعاش الإوزة:

في إحدى المشافي القديمة التي ما زالت تعمل على الطرق القديمة، وما زال فريقها يحمل كثيراً من الأفكار البالية، كانت هناك غرفة العمليات الرئيسة وبجانب هذه الغرفة كانت هناك غرفتان:

- غرفة إنعاش .

- غرفة إنمات .

فكان الممرضون ينقلون المريض ذا الحظ الحسن - إن عاش - إلى غرفة "إنعاش" لينتقل بعدها إلى غرفة العناية المشددة،

و أما المريض ذو الحظ الأحسن فكان ينقل - إن مات - إلى غرفة "إنمات" تمهيداً لنقله إلى العناية الربانية.

وفي أحد الأيام، هرب أحد المرضى من غرفة العمليات بلباسه الأزرق ومضى لا يلوي على شيء حتى صادفته إحدى الممرضات فقالت له: خير ما الذي حدث؟

فقال لها: هل سمعت ما كانت تقول له الممرضة في غرفة العمليات؟

فسألت الممرضة بتعجب: ماذا كانت تقول؟

قال المريض بهلع: كانت تقول: اطمئن العملية بسيطة وهذه ليست أول مرة، كن رابط الجأش، حافظ على هدوئك...!

قالت الممرضة: وما المشكلة؟ لقد كانت تطمئنك!

قال المريض: ولكنها لم تكن تتكلم معي، لقد كانت تخاطب الطبيب الجراح!!!

أرجو أن أكون قد استطعت أن أرسم الابتسامة على وجهك أخي القارئ، أختي القارئة، وأرجو أن تحافظوا على تلك الابتسامة ونحن نكمل بحثنا لتعلم أهم الطرق التي ننشئ بها الإوزة، إن اكتشفنا أننا كنا - بحسن نية - نحاول ذبحها من دون أن نشعر، ولنتعلم كذلك كيف نتجنب أهم الطرق التي تساهم في خنق الإوزة أو ذبحها.

أرجو من الإخوة المربين أن يحافظوا على الابتسامة وهم يكتشفون كيف كانوا يساعدون - دونما قصد - في إرسال الإوزة إلى غرفة إنمات، كما أرجو منهم أن يكونوا صريحين مع أنفسهم، وإن استطاعوا أن يكونوا صريحين مع من حولهم، فليعترفوا بأخطائهم غير المقصودة حتمًا، لأن المربي ينبغي أن يكون من أهل الفضل وأن يحوز فضيلة الاعتراف بالذنب خطوة أولى في طريق جديدة نتائجها التربوية أكثر فعالية.

افعل Do - لا تفعل Don't

١. إشارة خضراء: حافظ على هذه الابتسامة جهد استطاعتك، طوال الوقت إن أمكنك، فإن لم تستطع فعلى الأقل حافظ عليها في الأوقات التي اعتدت أن تغضب فيها، وفي المواقف التي اعتدت أن تنفعل فيها.

إشارة حمراء: تجنب ال (١١١١) على جبينك، ونبرة الصوت المرتفعة، تجنب العبوس والتجهم جهد استطاعتك، طوال الوقت إن أمكنك، فإن لم تستطع فعلى الأقل في الأوقات العصيبة والمواقف التي اعتدت أن تسميها "مزعجة".

٢. إشارة خضراء: حافظ على طهارة لسانك ونظافته باستخدام الكلمات اللطيفة والجميلة والناعمة.

إشارة حمراء: تجنب الكلمات القاسية والجارحة والبذيئة والمؤذية.

٣. إشارة خضراء: حافظ على مرونتك واستيعابك لأولادك وحسن إدارتك لذاتك وكظمك لغيظك. كن جنة أولادك.

إشارة حمراء: تجنب الغضب وفقدان السيطرة على نفسك. لا تكن جحيم أولادك.

٤. إشارة خضراء: احمل - أنت - المسؤولية، أنت الكبير، فكن كبيراً فعلاً، أنت الناضج، فكن ناضجاً فعلاً، أنت -يفترض- الحكيم، فكن حكيماً فعلاً، تحمل بنضج وحكمة مسؤولية الأخطاء التي تحدث بغض النظر عن صدرت منه تلك الأخطاء.

إشارة حمراء: إياك واللوم، إياك أن تتخلى عن المسؤولية، إياك أن تعتقد أن المشكلة هناك، لأن أكبر مشكلة تكمن في اعتقاد أن المشكلة هناك.

٥. إشارة خضراء: كن صياداً ماهراً يصطاد الإيجابيات ويفتخر بها ويركز ويكافئ عليها.

إشارة حمراء: عندما تصطاد أمراً سلبياً (حذاء أو جزمة)، ألقه مسرعاً ولا تلتفت إليه، بادر قبل أن يراك أحدهم ويبدأ بالضحك منك ومن خيبتك، حذار من اصطيات السلبيات.

٦. إشارة خضراء: امدح وشجع وأثن وآمن بالإمكانات الهائلة لدى أبنائك وكن سخياً بذكر المزيات.

إشارة حمراء: احذر النقد والتشيط والتحييط، إياك أن تقلل من شأن أبنائك أو أن تسمح لنفسك أن تؤمن بفشلهم وضعفهم وحذار من كيل الاتهامات والتقريع والتأنيب.

٧. إشارة خضراء: كن كريماً بالاعتذار عن :

• أخطائك المقصودة: وهذا واجبك.

أعتذر لأنني ألغيت الموعد الذي كان بيني وبينك.

• أخطائك غير المقصودة: وهذا صعب عادةً.

أعتذر لأنني تأخرت دون قصد عن الموعد.

• أخطائك التي لا تعدها أنت أخطاء ولكن أولادك يعدونها أخطاء: وهذه أصعبها.

أعتذر لأنني جعلتك تنزعج عندما حاولت أن أنصحك، ربما كان أسلوب غير مناسب.

إشارة حمراء: حذار من الجمل التالية:

«الكبار لا يعتذرون»

«الاعتذار يقلل من هيبة الأهل»

٨. إشارة خضراء: أظهر حباً وتقبلاً لأبنائك دون شروط، لا شك أنك تحبهم لأنهم أبنائك، المهم أن يعرفوا هم ذلك، المهم أن تتقبلهم وتفتخر بهم لأنهم رائعون في نظرك، المهم أن تتجنب الحب والتقبل بشروط قاسية جداً وإنجازات تعجيزية.

٩. إشارة خضراء: أعط مساحة هائلة من الحرية، احترم آراء أبنائك ورغباتهم الخاصة.

إشارة حمراء: تجنب كثرة القواعد واللوازم (لازم يأكل، لازم ينام، لازم يحكي بأدب، لازم يحب الآخرين، لازم يتعاون، لازم يدرس) وتجنب الميل الغريزي لديك نحو التحكم بأبنائك.

١٠. إشارة خضراء: أوف بوعودك وكن كريماً لطيفاً حسن الخلق حلو المعشر مخلصاً طيب الكلام.

إشارة حمراء: تجنب إخلاف الوعد والأنانية والغيبة والكلام القاسي والإهانات والفظاظة وسوء المعشر.

١١. إشارة خضراء: استعمل أذنيك بكثرة وتدريب على الاستماع والتعاطف وتفهم أبنائك.

إشارة حمراء: تجنب استعمال فمك بكثرة، وتذكر ميزة الإغلاق: الفم قابل أن يغلق بعكس الأذنين وتذكر أن أبنائك يتعلمون من سلوكك وليس من كلامك، قلل ما استطعت من الوعظ والدروس والنصائح الكلامية.

ما تريده من أبنائك لا تقله لهم

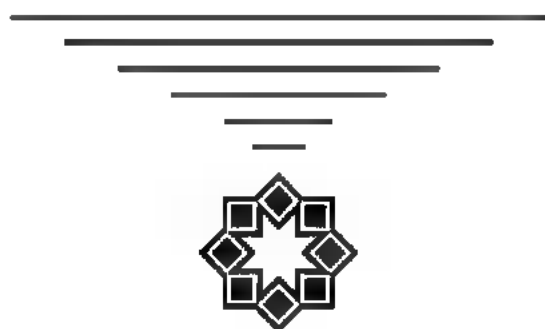
وإنما افعله أمامهم ومعهم

جدول موازنة بين الطرق التي تنعش الإوزة (إنعاش) والطرق التي تميم الإوزة (إنهات):

| إنهات الإوزة | إنعاش الإوزة |
|--------------------------|-----------------------------|
| إخلاف الوعود | الوفاء بالوعود |
| البخل والأنانية | الكرم والإيثار |
| الفظاظة والعبوس | اللطف وحسن الخلق |
| الغيبة وكشف الأسرار | الإخلاص |
| التكلم باستمرار | الإنصات والتعاطف |
| النصح والوعظ والاستجواب | التفهم المستمر |
| عدم الاعتراف بالخطأ | الاعتذار المخلص |
| الآمال الخيالية الوهمية | الآمال الواقعية الواضحة |
| الكلام القاسي والإهانات | الكلام الطيب |
| العبوس والتجهم | الابتسامة |
| النقد والتشيط | المدح والتشجيع |
| الإيمان بالفشل | الإيمان بالإمكانات الهائلة |
| بث روح التنافس السلبي | بث روح التعاون الإيجابي |
| تصيد السلبيات | اصطياد الإيجابيات |
| الحب والتقبل بشروط قاسية | الحب والتقبل بلا شروط |
| السحب نحو الأسفل | الدفع نحو الأعلى |
| التحكم الكامل | إعطاء مساحة كبيرة من الحرية |
| كيل الاتهامات | السخاء بذكر الميزات |
| CO2 | O2 |

وتذكر دائماً أن الهدف الأساسي من المكافآت والهدايا المادية والمعنوية هو تقوية العلاقة وتمتين أواصر المحبة بينك وبين أبنائك "تمادوا تحابوا"، ولئن ركزنا في المرحلة الأولى من الكتاب على أن العقاب ليس وسيلة فعالة لتغيير السلوك وإنما هو وسيلة فعالة لبناء الثقة وتقوية العلاقة بشكل عام مما سيؤدي بعد ذلك وبشكل غير مباشر إلى تعديل السلوك.





اصطیاد الإیجابیات



الاستراتيجية المثلى للتربية



ثانياً. كيف نصطاد الإيجائيات

كان هذا سؤالاً الثاني، وتفاجأت إذ قادني المدرب إلى غرفة صغيرة وقال:

- سأريك حوضاً لسماك الزينة وأريد منك أن تحصى عدد سمكات الزينة الحمراء.

ومد يده إلى ستار وأزاحه عن حوض كبير لسماك الزينة وقال: هيا ابدأ، فاقتربت من الحوض وبدأت أحصى السمكات الحمراء ((واحدة - اثنتان ...)) وبعد قليل استدرت وقلت:

- هناك خمس سمكات حمراء.

- قال: بالفعل هناك خمس سمكات حمراء داخل الحوض وكم عدد السمكات الزرقاء؟ فالتفت إلى الحوض ولكنني وجدته قد أسدل الستار فلم أعد أستطيع أن أرى الأسماك، فنظرت إليه قائلاً:

- ولكنك أسدلت الستار، ولن أستطيع أن أحصى السمكات الزرقاء!

فقال المدرب: لقد أعطيتك وقتاً كافياً لتعد السمكات الحمراء والزرقاء ولكنك عندما تركز على شيء فلن ترى الشيء المعاكس له، إن الوقت والجهد اللذين تبذلهما في التركيز على السلبيات تأخذه من الجهد المطلوب للتركيز على الإيجابيات، وليس لدي بوصفي مدرباً وقت للتركيز على تصيد السلبيات، فقد علمتني التجربة العملية أنني عندما أركز على شيء فلن أرى غيره، ولذلك فقد عودت نفسي اصطياًد الإيجابيات ورصد الجوائز والمكافآت لمن يقوم بها وبذلك يتسابق الجميع للوصول إليها، ولا يعود لدينا أي وقت للأخطاء.

- فقلت مصراً: ولكن لا بد من العقاب في كثير من الأحيان.

فقال: أف لك وللعقاب، قل لي: كم طريقة تتقن للعقاب؟ فشعرت بشيء من النصر وحاولت أن أردد اعتباري وبدأت أعدده كل ما أحفظ من الوسائل المتدرجة في العقاب، وحاولت أن أبين له أنني لست شريراً أو همجياً كما يعتقد، بل إن أساليب العقاب مدروسة بعناية، وبعد أن سردت له عشرات الأمثلة عن أساليب العقاب فاجأني بسؤال مباغت:

- وما استراتيجيتك في المكافآت؟

فتلعثمت وتلكأت وخانتني الكلمات والعبارات، وطار من رأسي الأفكار أو الأصح إنها لم تكن موجودة، وبت أجمع فكرة من هنا وفكرة من هناك، وأطرقت رأسي خجلاً وقد وعيت الدرس جيداً وقلت له: صدقت يا أستاذ، أنا أركز على السلبيات وأساليب العقاب أكثر بكثير مما أركز على الإيجابيات وأساليب المكافأة، ولكن قل لي: لماذا حدث ذلك؟



عندما تركز على شيء فلن
تنتبه إلى الشيء المضاد له



قال: نظراً لأن كثيرين منا قد اعتادوا نمط التفكير السلبي حيث يركزون على الأخطاء ويركزون على السلبيات فإنهم لا يرون من أولادهم إلا التصرفات الطائشة، ولا يسمعون من أولادهم إلا الكلمات البذيئة أو الأصوات العالية والتي عادة قد لا تشكل أكثر من ٥٪ من أسلوب حياتهم، إلا أن الأهل لديهم المقدرة - بلا وعي - أن يحذفوا ٩٥٪ من إيجابيات أبنائهم وسلوكياتهم الطيبة ويركزوا على الـ ٥٪ ثم يعمموها لتصبح ١٠٠٪.

أعتقد أنه قد حان الوقت لنتقل من مرحلة اصطيد السلبيات والمعاقبة عليها إلى مرحلة اصطيد الإيجابيات والمكافأة عليها. قلت: وما أنواع المكافآت التي تقترحها؟ هل هي مكافآت مادية؟

- من الخطأ طبعاً الاقتصار على المكافآت المادية فقط لئلا يشب الطفل نفعياً يأخذ مقابل ما يفعل، فالمكافآت المعنوية من مدح وثناء أمام الآخرين لها الأثر الأكبر في تشجيع الطفل وتحفيزه، ومن رحمة الله بنا أننا وإن كنا محدودين من حيث قدرتنا المادية إلا أننا نمتلك آفاقاً بلا حدود في مجال المكافآت المعنوية مثل:

• لا تنس الكلمة الطيبة لتقولها لطفلك عندما يقوم بعمل حسن، كلمات خفيفة على اللسان ولكن لها أجمل الوقع في قلب ابنك وأكبر الأثر في مسيرة التربية ((الله يعطيك العافية، الله يرضي عليك، أحسنت، شكراً، برافو، رائع، ممتاز...))

• امدحه أمام الآخرين إن هو أحسن، وامدحه لأقاربك وأصدقائك وأنت تتكلم على الهاتف بحيث يسمعك وهو يعتقد أنك لا تعلم بذلك.



جبلت النفوس على حب من
أحسن إليها





هل جزاء الإحسان إلا الإحسان



• داعبه من حين لآخر و احرص على تقبيله و شكره كلما سنحت لك الفرصة المناسبة.

• استخدم اللغة الواصلة التي تصل بين الطفل و سلوكه الحسن بحيث يصبح هو مساوياً لسلوكه الحسن ولا مانع من شيء من المبالغة والتعميم في هذه، فمثلاً إن قدم لأخته هدية أو مساعدة في أمر من أمور المنزل فمن المفيد جداً شكره ومدحه وتضخيم الأمر بحيث نقول : إنه دائماً يعتني بإخوته ويهتم بهم.

• ابتسم دائماً في وجه أبنائك ، لأن الابتسامة تشعر بالراحة والأمان .

• احرص على نبرة صوت هادئة باستمرار مهما كان الموقف، إن نبرة الصوت الهادئة تساعدك على حسن التفكير و صياغة الكلمات بالشكل المناسب ، كما أنها تساعد في تهدئة الانفعال عند الابن و تشعره بالراحة .

تعلم من السلطعون (السرطان)

السرطانات مخلوقات صغيرة مذهشة تستطيع الجري بسرعة، ولها درع خارجي يمكن أن تستبدله كل ثلاثة أيام أو أربعة في أثناء نموها، وعلى الرغم من صعوبة اصطيادها، فإنها تصبح سهلة التقصي عندما يتم القبض عليها بسبب غريزتها في سحب أحدها الآخر نحو الأسفل.

يستطيع السرطان عندما نضعه في وعاء قليل العمق وحيداً، أن يتسلق جدار الوعاء بسهولة ولكن إذا كان إلى جواره سرطان آخر فإنه يمد مخالبه ويسحب السرطان المتسلق باتجاه الأسفل قبل بلوغه الحافة، لذلك تستطيع أن تملأ الوعاء بالسرطانات

التي مهما حاولت الهرب فلن تستطيع أي منها الخروج لأنه بدلاً من أن يعزز أحدها جهد الآخر في الصعود فإنها تفعل العكس.

ولسوء الحظ فإن هذه العادة واسعة الانتشار بين أفراد الجنس البشري، بل حتى كأنها تبدو جزءاً من الطبيعة الإنسانية وتتمثل في حسد الأشخاص الذين يرتفعون فوق المستوى الذي نقف عنده ومحاولة جذبهم نحو الأسفل مادياً أو معنوياً وذلك عن طريق النقد وإطلاق الأحكام الجائرة.

حتى ضمن أسرنا، كثيراً ما يقع الأهل ضحية الفكرة القائلة: إن دور الأبوين يتمثل في التصحيح والنقد والعقاب، ونتصرف وكأن عملنا هو الحفاظ على الأطفال بمستوى واحد (هو مستوانا عادة) بدلاً من مساعدتهم على التوسع والنمو.

وعلى الرغم من أن الأبوين يريدان الأفضل لأطفالهما لكنهما يشعران بالامتناع والاستياء والمقاومة عندما يريد الطفل تجاوز (الحافة)، عندما يحاول الطفل الخروج من صندوق الأهل إلى رحابة الدنيا، عندها يمد الأبوان مخالبهما ليعيدا الطفل إلى الصندوق ويمنعاه الخروج من الصندوق.

ينص قانون التعلم من السلطعون على أن نفعل عكس ما نفعله، أي أن نقوم بالدعم والتأكيد الإيجابي وأن نرفع المعنويات بدلاً من أن نثبطها، وأن نمتدح بدلاً من أن ننتقد، أن نركز على اصطيات الإيجابيات والمكافأة عليها بدل التركيز على اصطيات السلبات والمعاقبة عليها.

لقد اعتدنا أن نشعر أننا بحاجة إلى أن نقوم بالتربية عندما يرتكب أولادنا خطأ ما، وكأن الأصل أنهم ملائكة لا يخطئون،

وعلينا أن نعكس الآية، بأن نشعر بواجبنا التربوي عندما يحسن الأطفال صنعاً، وعندما يتعلمون من أخطائهم فنفاجئهم بالتعزيز الإيجابي، أنا أعلم أنه نمط يصعب تغييره وأن الخروج منه أشبه بالخروج من جلدنا وأنا إذ أكتب هذه الكلمات أسترجع في ذهني المرات الكثيرة التي خالفت ما أدعوكم إليه وربما ما زلت أخالف، ولكن الأمر يستحق بذل الجهد، لذلك دعونا نتعلم من السلطعون كيف نتخلى عن درعنا وطريقة تفكيرنا الهجومية الناقدة، لنسمح لدرع ألطف بحمايتنا من أخطائنا التربوية وحماية نفسية أطفالنا الحساسة من أساليبنا القديمة الخشنة.

علينا أن نتعلم أن التعزيز هو الرد، وليس التثييط. علينا أن نقدم الدعم والتشجيع بدلاً من تأجيل روح التنافس. علينا أن نبحث عن طرق إبداعية لبناء الثقة بالنفس عند أطفالنا بالتقدير المستمر وليس القيام بزعة هذه الثقة بالنقد المستمر. علينا أن نسعى بصدق لدفع أطفالنا ليتجاوزوا المستوى الذي وصلنا إليه، علينا أن نساعدهم ليصلوا إلى الحافة ويخرجوا من الصندوق، علينا أن نعالج خوفنا ووساوسنا وحمايتنا المبالغ بها والتي تضعف أبنائنا بدلاً من أن تقويهم.

علينا الكف عن محاولة ضبط أطفالنا متلبسين بفعل الأخطاء وأن نبدأ بمحاولة ضبطهم متلبسين بفعل الصواب.

علينا أن نتعلم كيف نتخلى عن قواعتنا القديمة الصلبة لتنمو أنفسنا الداخلية بنعومة أكبر ورقة أكثر.

ما تعلمناه آنفاً في غاية السهولة "نظرياً" ولكنه في غاية الصعوبة "عملياً" لأننا جبلنا على النقد والتصحيح والإدانة والتأديب والتأنيب والتعذيب والاستجواب والنصح الممل

والمحاضرات والمواظب ونبرة الصوت الشديدة وتقوية
الجبين والنظرات الجارحة ورسائل الوعيد المتنوعة، لذلك
علينا أن نبذل الجهد الواعي والممارسة المستمرة لتغلب على
ميلنا الشبيهة بالسرطان وأن نمح أطفالنا باستمرار جرعات
تعزيز من الدعم والثقة التي تمكنهم وتشجعهم على استغلال
إمكاناتهم كاملة.

خلاصة :

للسرطانات غريزة جذب أحدها للآخر نحو الأسفل بدلاً
من دفعها نحو الأعلى، إن هذا الميل الرجعي يمنع أي سرطان
من المضي صعوداً، عندما نتقّد ضمن نطاق أسرتنا، وعندما
يقوم أحدها بتثييط الآخر والتركيز على أخطائه وعثراته، فإننا
نكون كالسرطانات .

لنتذكر أن يقوم أحدها بتعزيز الآخر .

لنتدرب على كيل المديح والمجاملات بعضنا لبعض .

ليذكر أحدها الآخر ولنحاول دائماً ألا نكون كالسرطانات

أن نقاوم غريزة الانتقاد ..

وأن نبذر بذرة المديح ..

وأن نتخلص من قوقعاتنا لكي ننمو ..

فإن أبينا إلا أن نكون كالسرطانات ...

فلنكن كالسرطانات الحكيمة!

السرطان الحكيم:

في أحد الأيام ابتعد السرطان عن البحر وأوغل في الغابة القريبة، وهناك وجد صندوقاً غريباً، وحينما ولجه أصيب بذعر شديد في بداية الأمر حيث كانت جدران الصندوق وأرضيته وسقفه كلها مصنوعة من المرايا وظن السرطان المسكين أنه قد وقع في براثن عصابة من السرطانات الشريرة التي تحيط به من كل جانب، صار يرتجف بشدة من الخوف، ولكنه سرعان ما بدأ يستوعب الموقف، وحين أدرك الأمر على حقيقته، بدأ الاطمئنان يسري إلى فؤاده، وبدأت السكينة تدب في أوصاله، وبدأ ينظر إلى نفسه للمرة الأولى في حياته، بدأ يعي ذاته ويدرك أفعاله، وما هي إلا لحظات حتى بدأ جسده يفرز مادة غريبة عرفت فيما بعد بإكسير الحكمة، لأن هذا السرطان أدرك ذاته ووجّه وعيه نحو نفسه بدلاً من توجيهه نحو الآخرين صار سرطاناً حكيمًا وصار ملهمًا للحكمة وصار يقصده القاصدون ليتعلموا منه الحكمة، فكان يدخلهم إلى الصندوق العجيب ويعلمهم بأن الحكمة تنبع من تركيزنا على أنفسنا، على خياراتنا، على قراراتنا، على تصرفاتنا، ولقد تعلم المربون من هذا السرطان الحكيم أن يركزوا جهودهم التربوية على أنفسهم وعلى بنائهم للعلاقة الطيبة مع أبنائهم، فإن كان لابد من التركيز على الأخطاء فليكن التركيز على أخطائنا نحن بدلاً من أخطاء الآخرين، وإن كان لابد من الانتقاد فليكن الانتقاد لمهاراتنا الضامرة في التواصل مع الآخرين، وإن كنا قد اعتدنا ضبط الآخرين متلبسين بخطأ ما فلنحول مسار هذه العادة باتجاه أنفسنا ولنتعود ضبط أنفسنا متلبسين بخطأ ما ومن ثم فلنسارع إلى الاعتذار والإصلاح، وإن شعرنا بالخوف عند تجاوز أبنائنا الحافة، عند خروجهم من صندوقنا، فلنسارع بالخروج معهم فالحياة واسعة واسعة، وهي أوسع بكثير مما كنا نعتقد.

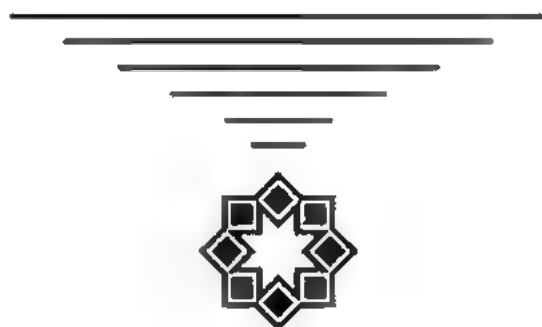


وتذكر دائماً أن الهدف الأساسي من المكافآت
والهدايا المادية والمعنوية هو تقوية العلاقة وتمتين
أواصر المحبة بينك وبين أبنائك

((تهادوا تحابوا))

ولئن ركزنا في المرحلة الأولى من الكتاب على
أن العقاب ليس وسيلة فعالة لتغيير السلوك فنحن
نركز الآن على أن الثواب كذلك ليس وسيلة فعالة
لتغيير السلوك وإنما هو وسيلة فعالة لبناء الثقة
وتقوية العلاقة بشكل عام مما سيؤدي بعد ذلك
وبشكل غير مباشر إلى تعديل السلوك.





إعادة توجيه السليبات



الاستراتيجية المثلى للتربية



ثالثاً. كيف نعيد توجيه السلبيات؟

- كيف يمكن إذن أن نتعامل مع التصرفات الخاطئة والسلوكيات غير المقبولة؟

- هنا يأتي الجزء الثالث من الاستراتيجية الفعالة وهو إعادة تحويل السلبيات، قل لي: ماذا تفعل عادةً عندما يخطئ أحد أبنائك؟.

- الحقيقة أنني أشعر بالانزعاج وأحياناً بالغضب الشديد وأحاول تصحيحه بأي ثمن.

- لقد سألتك ماذا تفعل عندما يخطئ أحد أبنائك، ولكنك أجبتني بماذا تشعر عندما يخطئون والفرق شاسع بين الاثنين.

- آسف لم أقصد ذلك بل قصدت أنني عندما أكتشف خطأً فإنني أعاقب المسؤول عنه حتى لا يكرره.

- أنت تتعامل إذن مع شخصية المخطئ وليس مع السلوك الخاطئ نفسه.

- وما الفرق؟

-الفرق كبير يا أستاذ لأن المرء ليس هو سلوكه بالضرورة.

-الإنسان يمتلك عادةً من الخيارات و من السلوكيات و من المواقف و البدائل ما هو أكثر بكثير من ذلك السلوك الخاطيء، فلو أن ابنك مثلاً نسي كتابة وظائفه فليس معنى ذلك أنه شخص كسول، هذه معادلة غير عادلة و غير صحيحة.

المعادلة الصحيحة:

نسي الابن كتابة وظائفه = نسي الابن كتابة وظائفه

المعادلة الخاطئة:

نسي الابن كتابة وظائفه = الابن كسول

حين نفصل المرء عن سلوكه السلبي و نركز على الإيجابيات التي لديه فعندئذ يمكننا أن نوجه تلك الإيجابيات نحو ذلك السلوك الخاطيء لتعديله و تصحيحه.

إذن عليك أولاً: أن تركز على الخطأ نفسه و أن تفصله عن المرء فالمرء ليس سلوكه.

ثانياً: أن تقيس درجة فداحة الخطأ، فإن كان بسيطاً فينبغي تجاوزه، لأن التركيز عليه قد يضر أكثر مما يفيد، والأفضل في هذه الحالة تجاهل الخطأ برمته وعدم التعليق عليه، وهذا يساعد كثيراً في تعزيز الثقة التي تتطلب قدراً من التسامح و تجاوز الأخطاء.

ثالثاً: أن تقيس مدى تعمد صاحب الخطأ ارتكاب خطئه فإذا كان الخطأ غير متعمد أو أن درجة التعمد خفيفة فالأفضل هو التسامح و تجاوز الخطأ.



يجب الفصل بين المرء وسلوكه



قلت: أعتقد أن هذا بديهي فأنا أيضاً أفعل ذلك، فإذا كان الخطأ بسيطاً أو غير متعمد فإني أسامح مرتكبه ولا أعاقبه. اتسعت ابتسامة المدرب وقال: ما زلت حتى الآن تركز على شخصية مرتكب الخطأ وعلى العقاب، بالإضافة إلى أنني عندما سألتك ماذا تفعل إذا أخطأ ابنك لم تذكر أنك تقيس درجة فداحة الخطأ أو درجة تعمده أليس كذلك؟ قلت: لأنني افترضت أنك تقصد خطأ من النوع الفادح والمتعمد. ابتسم المدرب ابتسامة المنتصر وقال: لقد ظفرت بك، إن مشكلتكم أيها المربون أنكم تفترضون ابتداءً أن غالبية الأخطاء من النوع الفادح والمتعمد الذي لا يمكن السكوت عنه، وتشعرون بالغضب والاستياء، وتشعرون أن عليكم أن تفعلوا شيئاً حتى قبل أن تحاولوا قياس درجة فداحة الخطأ أو تعمده، إنكم تعالجون قبل أن تشخصوا التشخيص الصحيح، وللأسف غالباً ما يكون علاجكم جراحياً باتراً، قل لي بربك: كم مرة غضبت على أحد أبنائك أو موظفيك وتوعدت وهددت وربما عاقبت ثم تبين لك أن الشخص الذي عوقب لا علاقة له بالخطأ إطلاقاً؟ أطرقت خجلاً وأنا أتذكر بعض المرات حين كان يحدث مشاكسات بين أبنائي فأصرخ متوعداً واحداً منهم ثم أكتشف أنه ليس في البيت أو أنه نائم. قلت: أعترف أن ردود أفعالي تكون انفعالية في كثير من الأحيان!

رابعاً: أن تفصل بين السلوك الخاطيء والقصد الإيجابي الكامن وراءه.

والهدف من معرفة القصد الإيجابي هو الفهم.

-الفهم، فهم ماذا؟

-فهم الدوافع الحقيقية الإيجابية التي يحاول الشخص



وراء كل سلوك قصد إيجابي



تلييتها من خلال سلوكه الخاطيء، إن هذا الفهم هو المفتاح الرئيس لمساعدة الشخص على تحقيق هذه المقاصد الإيجابية من خلال إيجاد بدائل جيدة.

-هل يمكن أن تعطيني مثالاً؟

-بالطبع، مثلاً عندما يتشاجر أبناؤك في البيت بسبب أمور سخيفة، يكون غالباً القصد الإيجابي الكافي وراء هذا الشجار هو تلك الطاقة الهائلة التي تحتاج إلى تفريغ والتي إن لم نجد لها بدائل مثل الرياضة أو النشاطات أو الرحلات فإنها ستبحث عن سلوك سلبي تفرغ نفسها من خلاله.

والطالب الذي يتأخر عن دوامه ويعمل بتكاسل يكون القصد الإيجابي وراء ذلك هو الرغبة في التسلية والمرح، فإن لم نستطع أن نجد وسائل لتحفيز هذا الطالب فإن هذا القصد الإيجابي سيبحث عن أماكن أخرى وفرص أخرى ليتحقق فيه، وعندئذ سوف يتأخر ويتكاسل.



المرء ليس سلوكه

وراء كل سلوك قصد إيجابي

المرء هو مجموع مقاصده الإيجابية التي
تحاول أن تحقق نفسها بطرق صحيحة

فإن لم تجد هذه الطرق فإنها قد تضل
الطريق وتندفع بشكل سلوكيات
خاطئة

عندما نفهم القصد الإيجابي الكافي
وراء السلوك الخاطئ يمكننا أن نبحث
عن بدائل جيدة لتحقيق هذا القصد
الإيجابي.

يصر المرء على تحقيق القصد الإيجابي ولا
يصر على السلوك الخاطئ.



خامساً: عليك أن تقوّم السلوك الخاطيء بعد وضعه ضمن مجموعة السلوكيات الجيدة التي يقوم بها المرء .

لا تضخم السلوك الخاطيء حتى لا يكبر في ذهنك أكثر مما ينبغي .

فإذا تأخر ابنك يوماً فتذكر عشرات ومئات المرات التي كان فيها محافظاً على الموعد، وإن أضعاف مفاتيحه يوماً فتذكر عشرات ومئات المرات التي حافظ فيها على مفاتيحه وبقية أغراضه، وإن أطعمك يوماً عنياً حامضاً فتذكر المرات الكثيرة التي أطعمك فيها أطايب الثمار والفاكهة .

سادساً : عليك بعد ذلك كله أن تحتفل بالخطأ و تفرح به .

- ماذا؟! أحتفل بالخطأ و أفرح به؟! كيف؟!!

- عليك أن تتذكر يا أستاذ أن الخبرات والمهارات التي تمتلكها الآن، ما كنت لتحوزها لولا أنك مارستها عملياً في حياتك، أليس كذلك؟

- بلى، فالممارسة هي التي تورث الخبرة والمهارة .

- ولا شك أنك في أثناء ممارستك الأولى قد ارتكبت مجموعة لا بأس بها من الأخطاء، أليس كذلك؟

- بلى، ومن منا لا يخطئ؟



من غلب فضله على نقصه وهب
قليل نقصه لعظيم فضله.



- وفي كل مرة أخطأت فيها كنت تتعلم درساً جديداً وتمتلك جزءاً من المهارة، ولولا تلك الأخطاء لبقيت خبرتك نظرية ولما انتفعت منها بشيء .

إن أكبر معلم للإنسان هو الأخطاء التي يقع فيها وخاصة إذا جاءه من يساعده على الاستفادة من خطئه بدلاً من أن يجعله يعيش في دوامة الشعور بالذنب والخوف من المحاولة مرة أخرى .

هل تعلم ما الفرق بين المدرسة والحياة ؟

في المدرسة أنت تأخذ الدروس ثم تدخل الامتحان
في الحياة أنت تدخل الامتحان ثم تأخذ الدروس .

لا أحد منا يذكر كيف تعلم المشي، ولكننا جميعاً ندرك العدد الكبير الذي سقطنا فيه على الأرض ونحن نحاول أن نتعلم المشي، ولولا تلك العثرات والسقطات لما مشينا قط .

للأسف اعتدنا في المدارس أن نوزع العلامات على الإجابات الصحيحة، ودون أن ننتبه إلى أن كثيراً من الناس صار عندهم خوف من الخطأ، ومن ثم خوف من المحاولة ومن ثم عدم الوصول إلى الصواب .



من لا يتحرك لا يخطئ ولا
يتعثر لكنه يصبح عثرة في
الوجود





عندما نحاول قد نخطئ وقد
نصيب، عندما لا نحاول لن
نخطئ ولن نصيب.



أرجو أن يأتي ذلك اليوم الذي يعي فيه المربون كيف يوزعون الدرجات وكلمات التشجيع والاستحسان على المحاولات وعلى الأخطاء وعلى الأجوبة الصحيحة.

ولا أنسى قصة صديقي العزيز أبي مصطفى الذي حدثني يوماً عما حدث بينه وبين ابنه مصطفى فكتبت له هذه المقالة بعنوان:

أريد طفلاً لا يتعثر

- كيف كانت رحلتكم يا مصطفى؟
- الحمد لله، كانت رحلة جميلة جداً يا أبي.
- هل سارت الأمور كلها على ما يرام؟
- نعم، ولكن.....مم.....
- ولكن ماذا؟
- لقد ضاعت آلة التصوير.
- ضاعت آلة التصوير!!! كيف ضاعت وأين؟
- الحقيقة أنها ضاعت، أقصد سقطت مني وأنا في قلعة حلب.
- كيف؟ كيف سقطت منك؟
- كنت قد ربطتها بالحزام ويبدو أن الرباط لم يكن محكماً فسقطت دون أن أشعر.
- ولماذا لم تضعها في جيبيك؟

- لأن جيبي كان مملوءاً بأشياء أخرى.

- وهل بحثتم عنها جيداً في القلعة؟

- الحقيقة لم أنتبه لسقوطها إلا بعد مغادرتنا.

- هل تدري يا مصطفى أنها المرة الثانية التي تضيع فيها الأشياء في خلال الصيف؟، في المرة الماضية أضعت جهاز MP3 وهذه المرة آلة التصوير، ومن يعلم ماذا ستضيع في المرة القادمة؟!

- أنا آسف يا أبي لم أكن أقصد أن

- اسمع يا مصطفى!، هناك تفسيران لما حدث: إما أنك فعلت ذلك قصداً وإما أنك مهمل، الاحتمال الأول بعيد فلا يمكن أن تفعل ذلك عن قصد، ومن ثم فإن السبب هو الإهمال واللامبالاة وقلة الانتباه.

• يبكي مصطفى ويذهب إلى غرفته ويغلق على نفسه الباب

قلت لأبي مصطفى بعد أن قص علي ما حدث:

- ماذا استفدت مما قلته له؟

- الحقيقة أشعر أني لم أستفد شيئاً بل على العكس تماماً، ولكن كان لابد أن أفعل شيئاً، لابد أن أقوم بواجبي التربوي أم أنك تريدني أن أترك الموضوع فيزداد إهمال مصطفى وتتفاقم المشكلة أكثر؟

- ابتسمت وقلت له: لا يا عزيزي، لا أريدك أن تهمل الموضوع بل أريدك أن تتصرف التصرف الصحيح الذي يوصلك إلى النتيجة التي تريدها.

- وكيف ذلك؟

- ماذا تريد من مصطفى؟

- أريده أن يتعلم كيف يكون أكثر حرصاً وأكثر انتباهاً.

- ممتاز! أنت تريده أن يتعلم، أليس كذلك؟

- بلى.

- وهل ما فعلته ساعده على التعلم أم على الانزعاج والضييق؟ تذكر حين كنت في المدرسة هل كنت تتعلم أكثر عند المعلم الذي يلومك ويتهمك بالتقصير ويعاتبك ويوبخك عندما تخطئ، أم عند المعلم الذي كان يتقبل أخطائك على أنها مرحلة لا بد منها وأنت تستطيع أن تتعلم من أخطائك، ويأخذ بيدك ويرحمك ويشجعك ويرفع من معنوياتك؟

الآباء والأمهات والمعلمون والمربون جميعاً يريدون أن يتعلم الأطفال ويرغبون في أن يتم ذلك بسرعة، وبسبب تعجلهم ينسون بعض المبادئ والقوانين البديهية مما يؤدي إلى محاولة قطع الشمار قبل نضجها، وعندما لا يصلون إلى النتائج التي يريدونها فإنهم ينسون مرة أخرى أنهم نسوا تلك المبادئ والبديهيات، فيبدؤون بكيال الاتهامات واللوم والعتاب لهذه الفاكهة لأنها فجة ولأنها لم تنضج وكأنهم بذلك يرسلون رسالة مفادها: نحن لم نفشل كمربين ولكن الأبناء هم الذين فشلوا.

قلت مرة لإحدى الأمهات التي جاءتني في استشارة من أجل ابنها الذي يعاني من:

”تقصير دراسي، وعدم تركيز، وفرط حركة، وعدوانية، وتمرد، وعناد، ...

وليتكم تعلمون كم كان عمر هذا الابن العاق، كان قد أنهى المرحلة الأولى من دراسته الأكاديمية في رياض الأطفال وانتقل إلى الصف الأول الابتدائي، كان عمره لم يتجاوز ست السنوات، قلت للأم: هل ترين هذا الهاتف الجوال؟ إذا اعتقدنا أن فيه عطلاً فربما نفكر في فتحه واستخدام المفكات وأدوات التصليح من أجل إصلاحه، وربما أدى ذلك إلى تخريبه تماماً من حيث نريد الإصلاح وحسن نياتنا لا يعفينا من الخراب الذي سنفعله بأيدينا، فإذا جاء أحد الخبراء وقال لنا: ماذا تفعلون؟ قلنا له: الهاتف لا يعمل ونحن نحاول إصلاحه، فقال لنا: وهل قرأتم كتيب التعليمات واستوعبتم كيف تتعاملون بذلك مع هذا الجهاز الحساس قبل أن تبدؤوا العبث به وتخريبه؟ ثم يمسك الخبير بالجهاز ويضغط بعض الأزرار فإذا به يعمل على أحسن وجه.

الطريقة التي نعرف بها المشكلة تحدد الطريقة التي ستعامل بها مع المشكلة

تعريف خاطئ:

الابن عدواني أو مهمل

الضغط عليه وتهديده وعقابه .

تعريف صحيح:

الابن لم يتعلم بعد مهارات التواصل ولم ينضج عنده حس المسؤولية

الصبر على تعليمه وتركه ينمو

وينضج بالتدريج.



التربية هي بلوغ الشيء تمامه
بالتدريج



أنصح الآباء والأمهات والمربين أن يتذكروا الطريقة المثلى للتعليم التي يقوم بها المربون بواجبهم بأفضل شكل، تذكر كيف يتعلم الطفل كلا من المشي والكلام. يحاول الطفل المشي فيقع مرة ومرتين وعشر وعشرين مرة فماذا يفعل الأب أو الأم؟

١. يقولون: لا بد أن يقع مرات عدة حتى يتعلم التوازن.

٢. في كل مرة يقع، واجبنا أن نخفف عنه ونعطيه جرعة من المحبة والحنان ورفع المعنويات.

٣. المشي والكلام مهارتان لا يمكن تعلمهما بين عشية وضحاها ولا بد من عدد من الأخطاء حتى يكتسب الطفل هذه المهارة وكلما أخطأ أكثر تعلم أكثر.

تخليلوا معي ذلك الأب الذي وقع ابنه بضع مرات، فجاء يقول له: يا بني لقد وقعت في خلال هذا الأسبوع مرات عديدة وهذا يعني أنك إنسان فاشل ومهمل.

شيء مضحك أليس كذلك؟

كثير منا يعتقد خطأ أن الأبناء ينبغي ألا يخطئوا وأن يقوموا بالمطلوب منهم بشكل صحيح وننسى أن الأداء الصحيح هو ثمرة فترة طويلة من التدريب المملوء بالأخطاء والعثرات.

أفضل طريقة لمنع أولادنا من الوقوع في الأخطاء هو أن نمنعهم من القيام بأي شيء.

أيها المربون! إذا أخطأ الأولاد فلا تسامحهم، لأنهم لم يفعلوا ذنباً يحتاج إلى عقوبة أو إلى مسامحة، إذا أخطأ الأولاد فهذا يعني أنهم يتعلمون، وإذا تعلم الأبناء فهل ينبغي أن نسامحهم؟!

بالعكس ينبغي أن نسرّ بهم وندعم التعلم ونشجعهم على مزيد من التعلم ومزيد من الأخطاء ومزيد من الخبرات.

دعوهم يتعثروا! ادعموهم وشجعوهم وأحبوهم..

وتذكروا أنكم أيها الكبار ما زلتم تتعثرون في كل يوم وما زلتم تتعلمون في كل يوم وستبقون تتعثرون وتتعلمون طالما بقي فيكم نفس يتحرك وعين تطرف.

- فجأة أحسست بدوار لأن كلمات المدرب أحدثت دوامة في ذهني عصفت بكثير من المفاهيم التي اعتدتها وبرجت بها واتبعتها لسنوات طويلة وكانت النتيجة متواضعة جداً، جلست ألتقط أنفاسي وأنا أشعر أن أفكاراً كثيرة قد تهاوت على الأرض، إلا أن فكرة بقيت مسيطرة على ذهني إلى حد ما، فلم أتمالك نفسي وقلت :

- كأني أفهم من كلامك أنه لا مكان للعقوبة أبداً وأنه ينبغي أن نلغي هذه الطريقة من وسائلنا التربوية؟!!

- ابتسم وقال: لا يا أستاذ، بعد كل ما شرحناه يأتي الآن والآن فقط دور العقوبة واللوم والتأنيب .

شعرت بارتياح لأنني لم أكن واثقاً من استعدادي للتخلي عن فكرة العقوبة، فقلت : حسن ، قل لي إذن ما أفضل الطرق لمعاقبة من تصرف تصرفاً خاطئاً ، بعد استنفاد الوسائل السابقة جميعها؟.

سابعاً: عليك أن تعاقب نفسك أولاً.

تنهد المدرب تنهيدة عميقة ثم قال : الحقيقة عندما أستنفد الطرق جميعها، وأشعر بأنه لا بد من أن أعاقب، فإنني أفكر أولاً

في أن أعاقب نفسي، لأنني فشلت في تعليم هذا الكائن المستعد لكل أنواع تعلم السلوك الجيد على الرغم من أنه مفطور على الفضول والاكتشاف والرغبة في التعلم.

ولست أنسى ما حييت ذلك الدرس الذي تعلمته يوماً من أبي - رحمه الله - (و اغرورقت عينا المدرب بالدموع) ، في ذلك اليوم ارتكبت خطأ كبيراً ، حين تأخرت عن موعد مهم مع أبي بسبب انشغالي باللعب مع أصدقائي ، وحين سألني عن سبب التأخر، خشيت أن أذكر له الحقيقة وكذبت عليه ، ولكنه كان يعلم السبب الحقيقي لتأخري ، وتوقعت أن أتعرض لعقوبة قاسية وتوبيخ شديد، إلا أنه - رحمه الله - ما كان منه إلا أن نظر إلي بمحبة شديدة وقال : أعتذر منك يا بني لأنني اضطررتك للكذب علي ، لا بد أني تصرف معك يوماً بطريقة جعلتك تخاف وتخشى مصارحتي ، لا بأس عليك يا بني سأعاقب نفسي اليوم بالعودة إلى البيت سيراً على الأقدام لأراجع نفسي ولأكتشف خطئي ، لا بأس عليك يا بني أنا المسؤول وليس أنت، في ذلك اليوم تعلمت عملياً معنى تحمل المسؤولية .

وبمقدار ما تأثرت بقصة المدرب إلا أني شعرت بالإحباط، لأن العقوبة إذن لي وليس للآخرين و بصوت يائس قلت له :

- إذن ليس ثمة عقوبة للآخرين ؟

قال بابتسام : بلى ، ولكنها العقوبة المقننة .



عامل أبناءك كما تحبهم أن
يعاملوك

إن أردتهم أن يتعلموا الاحترام
فعليك أن تحترمهم

إن أردتهم أن يتعلموا الاعتذار
فعليك أن تعتذر منهم

إن أردتهم أن يتعلموا الصدق
فعليك أن تكون صادقاً معهم

إن أردتهم أن يتعلموا المسؤولية
فاحمل المسؤولية أمامهم





قبل أن تصفع ولدك اصفع نفسك



ثامناً : العقوبة المقننة.

قلت و ما العقوبة المقننة ؟

قال : العقوبة المقننة هي اتفاقية وليست عقوبة ولكننا أسميناها عقوبة لتملاً ذلك الفراغ في عقلك بعد أن فرغناه من كل أنواع العقوبات المعتادة، فهي أذن اتفاقية اتفق عليها مسبقاً، معلومة الحدود والشروط، اتفاقية لا تخل بالثقة ولا تخدش المحبة، اتفاقية يضعها المربي بالاتفاق مع من يربيههم، ويعلمون أن هذه الاتفاقية لمصلحتهم ومن المفيد جداً أن يشاركواهم في تحديد العقوبة، والعجيب أنك عندئذ لا تضطر إلى فرض العقوبة لأن التزام المخالف سيكون طوعياً ولا بأس من تخفيف العقوبة في بداية الأمر لأنه :

ليس الهدف من العقوبة هو الانتقام من المخطئ

الهدف الحقيقي مساعدة المرء على تجاوز الخطأ

- من الأهمية بمكان أن تختار الوقت المناسب لتجلس مع ولدك، وذلك حين يكون مزاجه حسناً وتكون أنت أيضاً بحالة من الهدوء وأن تشرك ابنك في الاتفاق على النقاط التالية:

• الأهداف المرجوة.

• الإرشادات العامة.

■ المصادر المتاحة.

• المحاسبة والمساءلة.

• المكافآت في حال إنجاز الاتفاقية، والعقوبات في حال التقصير.

ثم يوقع كل من الابن والأب على البنود المتفق عليها.

- ملاحظة مهمة: لا يجوز أن تجلس مع ولدك وقد جهزت الأجوبة كلها حول البنود السابقة، حتى لا يتحول الاتفاق إلى اتفاق من طرف واحد، وتذكر دوماً أن :

الإنسان يلتزم عادة بما يلزم به نفسه

في حين ينفر عما يفرضه عليه الآخرون

عليك أن تتذكر دائماً أن دورك هو دور المربي الذي يختلف كلياً عن دور كل من القاضي والشرطي والمحقق والسجان .



يلتزم الإنسان بما يلزم به نفسه
أكثر مما يلتزم بما يفرضه
عليه الآخرون



| | |
|--------|-----------------------------|
| | |
| القاضي | يحكم على الآخرين |
| الشرطي | يحفظ النظام و يتبع المجرمين |
| المحقق | يستجوب و يسأل و يتهم |
| السجان | يعاقب و يجلد |



| المربي |
|--|
| يستوعب ويعطف على الآخرين |
| يحفظ نفسية الطفل وعقله وقلبه وروحه ويتتبع الإيجابيات |
| ليبني عليها |
| يتفهم ويعذر ويرحم ويوجه |
| يصبر ويصطبر |



- بالله عليك هل هناك طريقة بسيطة تلخص لي ما علمتني إياه؟.

- على الرحب والسعة، إنها طريقة تربية قي دقيقة:

وهي طريقة فعالة وبسيطة و سريعة في التربية، فإذا ارتكب ابنك خطأ ما انظر في عينيه مباشرة و أعد عليه ما فعله باختصار دون أن يأخذ من وقتك إلا ثوان معدودات، اشرح له خطأ سلوكه في النصف الأول من الدقيقة ثم خذ نفساً عميقاً و اشعر بالهدوء النفسي ثم انظر إلى وجهه في نصف الدقيقة الثاني بطريقة تجعله يشعر أنك إلى جانبه و لست ضده و أنك تحبه و لكنك فقط لا تحب سلوكه . أخبره أنه ولد طيب و أنك راض عنه و لكنك لست راضياً عن سلوكه، و أنك تتوقع منه سلوكيات مختلفة تحقق له قصده الإيجابي، و أنك ما أنبته إلا لأنك تحبه، ثم ضمه إلى صدرك بقوة.

والنتيجة:

• يعرف الابن أنه قد تصرف تصرفاً خاطئاً .

• يعرف الابن أنه إنسان طيب .

• يعرف الابن أنه محبوب من قبل أبويه .

• يعرف الابن أن لديه خيارات وبدائل كثيرة .

- دعني أراجع ما تعلمته منك حتى الآن :

مثلث التربية الفعالة يبدأ بكسب الثقة من خلال إزالة الخوف والإكراه والإجبار وغرس المحبة غير المشروطة والاحترام ويستمر المثلث عبر اصطياذ الإيجابيات المستمر والتركيز عليها والمكافآت، وينتهي بإعادة تحويل السلبيات من خلال فصل

المرء عن سلوكه السلبي ومعرفة القصد الإيجابي وإيجاد البدائل لتحقيقه وتجاوز الأخطاء البسيطة وغير المعتمدة، والاحتفال بالخطأ والتعلم منه، وإن كان لا بد من العقوبة فلا عاقب نفسي أولاً ثم هناك العقوبة المقننة. هل هناك شيء آخر يمكن أن تعلمني إياه ؟

نعم، تذكر يا سيدي أن هذه الطرق الرائعة مبنية على فهم عميق لهذه النفس البشرية وقوانينها ومبادئها ولذلك هي لاتصلح مع الأبناء فحسب وإنما في أي مجال من مجالات التواصل الإنساني .

وقبل أن أنصرف سألته إن كان يريد أن يختم بقصة ما فابتسم ابتسامة عريضة ثم قال لي: دعني أرو لك ما حدث معي البارحة حتى تعلم أن الأمر يحتاج إلى صبر وأنا كثيراً ما نتعجل النتائج.





رَبُّوْا وَاتَّعَبُوا



اتصلت بي زوجتي وهي تبكي: تعال وتصرف! لم أعد أحتمل الشجار بين الأولاد. كنت منهمكاً في عملي ولدي مواعيد مهمة ولم يكن الوقت مناسباً لحل المشاكل الأسرية وكدت أنفجر غاضباً من زوجتي كما اعتدت في السابق: "ألا يكفيني همومي وهموم العمل حتى تثقلي عليّ بالمزيد؟ أليس باستطاعتك أن تتدبري أمر شجار بسيط نشب بين الأولاد؟ إلى متى سوف أبقى مسؤولاً عن مثل هذه الأمور الصغيرة؟"

ولكنني فجأة توقفت قليلاً وتذكرت العادات السبع للناس الأكثر فعالية:

تذكرت أولاً أن بين المؤثر الخارجي (اتصال زوجتي) وبين استجابتي هناك مساحة، في هذه المساحة تكمن حريتي في اختيار استجابتي، حريتي في اختيار أفكارتي ومشاعري، حريتي في اختيار النتائج التي ستنتج عن ردود أفعالي.

نظرت إلى مكتبتني فرأيت علبة الكولا التي كثيراً ما أستخدمها في دوراتي واستشاراتي حيث أقوم بخضها حتى تفور ثم أسأل: لماذا فارت؟ ويكون الجواب التقليدي: لأنك خضضتها بالطبع. فأبتسم وأمسك بزجاجة الماء وأخضضها وأنا أقول: ها أنا ذا أخضضها فلماذا لا تفور؟ وهنا يأتي الجواب الحقيقي: لأنه ليس فيها مواد غازية.

عندما يأتينا خض خارجي فإنه سيمحرك ما بداخلنا، فإن كنا مثل الماء فسنبقى محافظين على هدوئنا وتوازننا وحكمتنا ونستجيب بالطريقة التي توصلنا إلى أفضل النتائج، أما إن كنا مثل الكولا فإن المؤثر الخارجي سيجعلنا ننفجر ونستجيب بطريقة انفعالية ونصب جام غضبنا على المؤثر الخارجي بدلاً

من أن نتوجه إلى إصلاح ما بداخلنا والتخلص من الأفكار السلبية الغازية التي سببت الانفجار.

ضحكت وأنا أتذكر الطرفة التي أروها دائماً عن ذلك الرجل الذي ذهب إلى الصيدلية واشترى صندوقاً كاملاً من المراهم المسكنة وذهب إلى منزله وأخذ يدهن درج البناء بتلك المراهم وحين استغرب الناس تصرفه، أخبرهم بأنه يتبع تعليمات الطبيب الذي طلب منه أن يدهن بالمراهم المسكنة مكان السقوط الذي أصيب فيه.

أغلبنا عندما يمر بمشكلة يدهن الدرج بدلاً من أن يعالج نفسه

تذكرت قاعدة الـ ١٠ / ٩٠

١٠٪ من الحياة يتشكل من خلال ما يحدث لنا

٩٠٪ من الحياة يتشكل من خلال ردود أفعالنا

فنحن في الواقع ليس لدينا القدرة على التحكم بـ ١٠٪ التي تأتي من المحيط الخارجي ولكن الوضع مختلف مع الـ ٩٠٪، التي نملكها في داخلنا، وهنا فقط نحن نملك حرية الاختيار.

ضبطت نفسي وأنا أتذكر أن أول عادة من العادات السبع للناس الأكثر فعالية هي عادة:

Be Proactive كن مبادراً

والتي تنطلق من المبدأ الأساسي في الحياة:

يمتلك الإنسان حرية الاختيار.

وأن استجاباتنا هي نتاج اختياراتنا وقراراتنا وليست نتاج الظروف.

بدأت باستخدام عضلات المبادرة التي بدأت درّبتها :

العضلة الأولى : وهي عضلة الوعي بالنفس بدلاً من توجيه الوعي للآخرين، وعيت أن أية ردة فعل سلبية لن تفيدني ولن تفيد عملي ولن تفيد أياً من أفراد أسرتي ، الوعي بالنفس يعني أن نوجه حواسنا التي اعتادت مراقبة الآخرين، نحو أنفسنا، نحو اختياراتنا، نحو سلوكنا، نحو نبرة صوتنا، نحو معالم وجهنا، نحو كلماتنا وألفاظنا.

العضلة الثانية : وهي عضلة الضمير، والضمير هو ذلك الصوت الخافت الذي لا نسمعه إلا إن اختلينا بأنفسنا وابتعدنا عن ضجيج الحياة، في جلسة محاسبة صادقة للنفس ومراجعة، أرشدتني عضلة الضمير إلى أن الانفعال والغضب والغيط أخطاء كبيرة غالباً ما تكون أكبر بكثير من الخطأ الأصلي الذي نود إصلاحه وأرشدتني إلى أن ضبط النفس والهدوء والحلم وكظم الغيط هو الصواب والحكمة وأن مفتاح ذلك كله هو الابتسام فابتسمت .

العضلة الثالثة : هي عضلة الخيال حيث بدأت أتخيل مشهدين مختلفين لهما نفس البداية، ولكن لهما نهايتان مختلفتان. لماذا؟

بسبب ردة الفعل التي أستطيع أن أختارها ..

رأيت نفسي في الأول شخصاً انفعالياً قد انتفخت أوداجه واحمر وجهه واشتدت نبرة صوته وقست ألفاظه و(دخل في الحائط) .

ورأيت نفسي في الثاني شخصاً مبادراً وحليماً تعلو وجهه
ابتسامة الاطمئنان وتقطر الحكمة من أمارات وجهه ونبرة
صوته فرأيت الفارق الكبير وأدركت ما الذي علي أن أعمله
وهنا ساعدتني ...

العضلة الرابعة : وهي عضلة الإرادة لتنفيذ المشهد المبادر
الذي يوصلني إلى أفضل النتائج .
تذكرت العادة الثانية:
ابدأ والنهاية في ذهنك

Begin With The End In Mind

وبدأت بتخيل النتيجة التي أريدها، وهي حل المشكلة
 وإعادة جو الهدوء والمحبة إلى أسرتي الحبيبة، وبدأت أدرك
الخطوات التي علي أن أقوم بها من أجل تحقيق تلك الحصيلة
الرائعة .

وعندما تذكرت رسالتي وأهدافي وقيمي العليا صغرت
المشكلة بشكل مذهل حتى إنني لم أعد أشعر بأي انزعاج وإنما
صار شعوري أشبه بشعور من يكتب رسالة ثم أخطأ في كلمة
ما فبادر إلى تصحيحها بكل يسر وتابع كتابة رسالته .

ثم تذكرت العادة الثالثة :

ابدأ بالأهم قبل المهم

Put First Thing First

وتذكرت أهمية المبادرة إلى إصلاح بعض الأمور الصغيرة
قبل أن تتفاقم وتتحول إلى كوارث ، وتذكرت أن أسرتي من



ما يزعجنا ليس ما يفعله
الآخرون

مهما كان ما يفعلونه

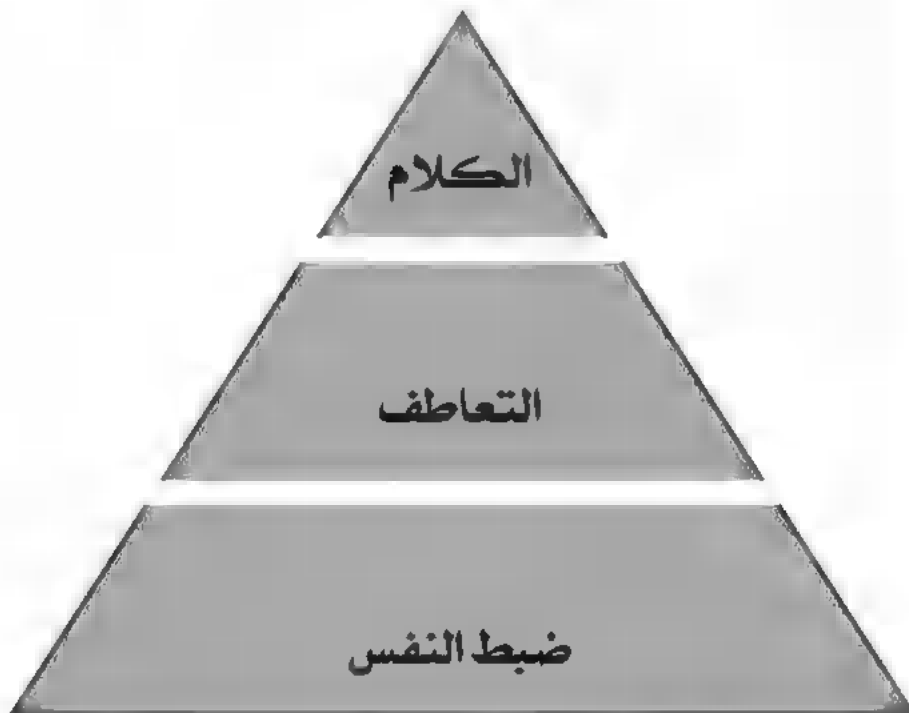
وانما استجاباتنا لما يفعله
الآخرون



أهم أولوياتي وأنها تستحق الآن جزءاً من وقتي بشرط أن يكون هذا الوقت فعالاً فسارعت إلى منزلي القريب جداً من عملي وأنا أحدث نفسي بالخطوات الثلاث الذهبية في حل المشاكل التي تعلمتها من هرم التواصل الفعال وهذه الخطوات ينبغي أن تكون بالترتيب التالي :

- ١ - ضبط النفس : كن هادئاً مبتسماً مرتاحاً متوازناً .
- ٢ - التعاطف : ساعد الأطراف المتنازعة على الهدوء والراحة وضبط النفس .
- ٣ - الكلام : الآن يمكنك أن تبدأ الكلام والتعليم المختصر .

وهذه الخبرات الثلاث قد تبلورت لدي بعد خبرات كثيرة شعرت في كثير منها أن وجودي مثل عدمه، بل كثيراً ما كان عدم وجودي أفضل لأنني كنت أغفل الخطوتين الأوليتين .





إذا أردت أن تكلم شخصاً
فتأكد

أولاً أن الخط عندك مفتوح

وثانياً أن الخط لدى الشخص
الأخر مفتوح

عندئذ فقط يمكنك الكلام



وبينما كنت أصعد الدرج إلى البيت كنت أراجع في ذهني
العادة الرابعة:

فكر بالمنفعة للجميع

Think Win Win

وقلت: علي أن أبحث عن الحل الذي يحقق مصلحة
الأطراف جميعها وأنا واثق بوجود أكثر من حل يمكن أن يحقق
ذلك وإن كنت لم أهتم إليها بعد وحتى أصل إلى الحل علي أن
أستخدم مهارة العادة الخامسة:

حاول أن تفهم أولاً ثم أن تكون مفهوماً

Seek First To Understand

Then To Be Understood

لا بد أن تفهم وجهة نظر الأطراف جميعها، وكيف أن كلاً
منهم على حق من وجهة نظره وابتسمت حين تذكرت قصة
جحا عندما جاءه زوج يشكو زوجته وبعد أن قص عليه القصة
قال له جحا: والله معك حق، وبعد قليل جاءته الزوجة تشكو
زوجها وعندما انتهت قال لها جحا: والله معك حق، فتعجبت
زوجة جحا وقالت له: عجيب أمرك يا جحا! يأتيك الخصمان
وتقول لكل منهما معك حق، ابتسم وقال لزوجته: والله
يازوجتي العزيزة أنت أيضاً معك حق!

وبدأت أضع نفسي مكان زوجتي التي تقع عليها مسؤولية
العناية بالمنزل وبأطفالها الأربعة والخامس الذي في بطنها
والسادس الذي هو أنا، والتي تدرس من أجل امتحانات
السنة الثالثة في قسم رياض الأطفال في التعليم المفتوح حيث

يفترض أن تتعلم كيف تتعامل مع الأطفال عموماً ومع أطفالها خصوصاً ولكن يبدو هنا صحة القاعدة التي تقول:

نظرياً ليس هناك فرق بين النظري والعمل

عملياً هناك فرق

أشفقت على زوجتي وقلت في نفسي: معها حق، ثم فكرت في أولادي أحمد ياسين ومعاذ اللذين مهما ملأت لهما وقتها بالرياضة والعمل والنشاطات فإن هناك كثيراً من الوقت الفارغ الذي يملكان فيه طاقة كبيرة لا تجد لها منفساً إلا بالتسلي بإغاطة بعضهم بعضاً وأختيهما زاهرة وفاطمة الزهراء وأمه وأبيهم عند اللزوم، شعرت بمعاناتهما وقلت في نفسي: معها حق، ثم أخذت أفكر في زاهرة وأختها اللتين عليهما أن تتحملا غلظة أخويهما وسماجتهم دون أن تملكا أداة للدفاع عن النفس إلا بالصراخ الذي يصل إلى الجيران وأحياناً عبر الأثير يصل إلى مكنتي تذكرت جحا وقلت: وأنتم أيضاً معكم حق.

عندما نفهم وجهات النظر المختلفة ونفهم الاحتياجات الحقيقية للجميع ونؤمن أن هناك حلولاً تحقق المنفعة للجميع عندئذ يمكن أن نبدأ بالعادة السادسة:

التكاتف

Synergize

للوصول إلى الحلول الجديدة التي لم تكن على بال أي من الأطراف، للوصول إلى البديل الثالث الذي هو أفضل من البدائل الأولى المقترحة. البديل الثالث الذي يحقق منفعة الجميع وبشكل أكبر مما يتصوره أي إنسان من قبل.

وفي أثناء دخولي إلى البيت كنت أراجع العادة السابعة عادة
التجديد المستمر .

اشحذ المنشار

Sharpen The Saw

شعرت أنني قصرت في إقامة التوازن المطلوب بين الأسرة
والعمل ، فقلت في نفسي لقد آن الأوان لنفعل من جديد خطة
التجديد الأسري ، لعلنا نحتاج إلى إجازة ممتعة نعتني فيها
بأسرتنا روحياً وجسدياً وذهنياً وعاطفياً .

دخلت المنزل وعلى وجهي ابتسامة عريضة تحمل كل معاني
الحب التي أستشعرها في قلبي تجاه زوجتي الرائعة وأولادي
المميزين وسرعان ما سرت الابتسامة إلى زوجتي وشيئاً فشيئاً
بدأ يسود جو من المودة والمحبة والهدوء عززته طريقتي في
الكلام التي لم تكن تحمل نبرة اللوم أو الاتهام بل كانت تحمل
معاني التفهم والتقدير والاحترام للجميع وتحمل رغبة صادقة
في الوصول إلى وضع أفضل للجميع وبدأ حوار هادئ يتجه
نحو المستقبل نحو الخيارات اللا محدودة والبدائل الرائعة
بدلاً من التركيز على الماضي ، على المشكلة . وبدأت بعض
الاقتراحات البسيطة من هنا وهناك ، وأخذت تتفاعل لتولد
خيارات أكثر نضجاً تبلورت في خطة ارتضاها الجميع واتفقنا
على أن يغتنموا الساعة القادمة في شيء مفيد كالقراءة مثلاً أو
إكمال لعبة قطع الـ Puzzle على أن نذهب مساء للعشاء معاً
وتناول البوظة اللذيذة .

ودعتهم وعدت إلى عملي راضياً، وبينما أنا أنزل الدرج
سمعت بعضاً من الصياح فابتسمت ونظرت إلى زوجتي التي
ودعنتني بابتسامة مماثلة وقلت لها ضاحكاً:

ربنوا واتعبوا





“من كان مرباه بالعسر والقهر
من المتعلمين أو الخدم
غلب عليه القهر
وضاقت نفسه
وذهب نشاطها
وحمل على الكذب والخبث
لانبساط الأيدي بالقهر عليه
وعلمه المكر والخديعة لذلك”
مقدمة ابن خلدون



مستخلص

كتاب في أصول التربية يقدم آراء حديثة لبناء شخصية الطفل السوية.

بدأ الكتاب بمقدمة تحدث المؤلف فيها عن أخطاء التربية مع مقارنة بين ماضيه وحاضره وملابسات ذلك، وكيف خرج من تلك الأخطاء إلى القناعة بالتربية الفعالة القائمة على ثلاث نقاط؛ بناء الثقة واصطياد الإيجابيات وإعادة توجيه السلبيات.. ثم ذكر قصة الكتاب.. وقدم نصائح.

ثم فصل في هذه النقاط، فتحت موضوع بناء الثقة تحدث عن طريقة بنائها بإزالة الخوف، وبالكف عن محاولة التحكم، وباللعب والمرح، وبمصادقة الأولاد، وبالحب من غير شروط، وبالتفهم، وبالاحترام، وبلمسات الحنان، وبالقدوة الصالحة.

وفي نقطة اصطياد الإيجابيات، بحث في كيفية اصطياد تلك الإيجابيات.. ورأى ذلك في التركيز على الشيء المراد اصطياده، وفي الإحسان إلى الآخرين، وفي الكف عن محاولة ضبط أطفالنا متلبسين بفعل الأخطاء، وفي التخلي عن القوقعات القديمة، وفي التعزيز وترك الانتقاد وفي التركيز على النفس والذات لا على الآخرين وفي تقوية العلاقة بالآخرين ومحبتهم.

وفي النقطة الأخيرة وهي كيفية إعادة توجيه السلبيات وضع الخطوات اللازمة لتجاوز هذه السلبيات من أجل الخروج إلى نتائج تربوية سليمة تبني الفرد.. وذكر الوجه الإيجابي للسلبيات قائلاً: ليس من امرئ يخلو من نقائص نهبها لفضائله، فضلاً عن أن السلبيات هي التي تعلم الإنسان وتبنيه إذا استفاد منها.. ومن يعمل يخطئ.. ثم ختم الكتاب بذكر نصائح ودروس مفيدة.

Abstract

This book deals with the roots of fostering and introduces new opinions as regards building an intact character for the child.

The author initiates the book by an introduction which talks about the errors committed while fostering with a comparison between his past and present, the problems lying in fostering and how the individual could get rid of those errors and have conviction in the effective fosterage which is based on three pillars: building trust, snatching the positive acts and redirecting the negative ones. Then it presents the story of the book and gives advice.

After that, he talks about those pillars in detail, and so under "*Building Trust*", he discusses the method of building it by removing fear, refraining from trying to impose one's authority, playing, cheerfulness, making friendship with children, loving without stipulations, understanding, respect, the touches of pity and the righteous exemplar.

According to snatching the positive acts, he discusses how to exploit those positive attitudes and finds that it could be realized by highlighting the thing that should be snatched, doing good to the others, refraining from trying to catch our children when they are in the act of committing faults, free oneself from the old seclusion, enhancing and quitting criticizing, concentrating on the soul and the self rather on others and enforcing the relation with others and loving them.

As regards the last pillar [i.e., How to redirect the negativity], he lays necessary steps that warrant avoiding negative acts in order to realize intact educational results in building the individual. He also mentions the positive aspects of the negative acts saying, "Each human has shortcomings that we balance with his virtues." Moreover, negative acts themselves teach and build the human in case he attempts to benefit from them, for whoever works, he certainly errs.

He concludes the book by giving useful advice and lessons.





نطوير
أحمد ياسين
نويلر

@Ahmedyassin90